ذكرياتي عن

حضرة بهاء الله

تأليف
استاد محمد علي سلماني

ترجمها من الانكليزية الى العربية
سيفي سيفي

حقوق الطبع محفوظة

سنة الطبع 155 بديع 1998 ميلادي

الناشر
مؤسسات مطبوعات مرآة نيو دهلي

نبذة عن حياة الكاتب

(محمد علي سلماني(

من رفاق حضرة بهاء الله الثابتين، ممن اختـارهم لمرافقتـه في نفيـه من بغـداد الى اسـتنبول، سـنة 1863م. يخبرنـا (محمـد علي سـلماني) في مذكراتـه القصـيرة هـذه عن حكايته، ويعطينا صورا حيّة وواضحة عن بداية تاريخ الديانة البهائية.

كما يخبرنا هذا الحلاّق الجريء، عن عذاباته ومعاناته، عندما كان بابيا، وعن رحلته من بلده الى بغداد، وكيف تشرّف لأول مرة بلقـاء حضـرة بهـاء اللـه. ويكتب ايضـا، عن رحلـة النفي من بغداد الى استنبول، وحياة المنفى في العاصـمة العثمانيـة، وقصـة النفي البعيـد الى أدرنه، وما لاقاه المنفيون من مشاكل ومصاعب هناك، وعن مأموريته الـتي كلفـه بهـا مولاه في اسـتنبول، وعن كيفيـة إلقـاء القبض عليـه هنـاك، وإعادتـه مقيـدا ومخفـورا الى ايران. وعن عدم احتمالـه كبح جمـاح محبتـه لمـولاه، وعودتـه الى شـطر السـجن الأعظم (مدينة عكاء)، مشياً على الأقدام، ومشاركة محبوبه سجنه هناك.

كان سلماني، رجلا بسيطا، وذكرياته مع حضرة بهاء الله تتنقـل بين حـوادث متفرقـة. لذا يجب ان لا تؤخذ هذه الذكريات الا كملاحظات رائعـة لزياراتـه لمـولاه، حيث تتجلى لنـا قوة إخلاصه لمحبوبه.

المقدمـة

الى الباحثين في تاريخ الديانات المتقاسمة لمعتقدات مشتركة مسـتمرة. ان الفـترة الانتقالية بين ظهـور سـابق وآخـر لاحـق، تعتـبر فـترة ذات أهميـة كـبرى. فالشـعور بـذلك التحول، غالبـا مـا يكـون متأرجحـا في عقـول الـذين خاضـوا تلـك التجربـة، فتـارة، تـراهم مستعدين للجديد، وأخـرى لمّـا ينسـلخوا عن القـديم بعـد. فتجـاربهم مـع القـديم تحـد من فهمهم واستيعابهم للجديد. لذا يمكن اعتبار أصغر دليل يسلط الضوء على قدرات الانسان المتنامية للظهور الجديد، وثيقة تاريخية نفيسة.

ان ميلاد الحركة البابية، من الاعتقـادات والنبـوءات القديمـة لشـيعة المسـلمين، وان الانبثاق التدريجي للظهور البابي والادراك المطّرد لانسلاخها عن الاسـلام، والانتقـال الـذي حدث فيما بعد، من الظهور البابي الى الظهور البهائي، كلها وقـائع حديثـة الحصـول. ومـع ذلك، لم يسلط التاريخ ضوءه الكامل بعد على تلك المراحل العصـيبة لـذلك التقـدم، ومن

المحتمل ان ذلك يعود الى طريقة الادراك الخاطئة المتوارثة من الماضي القديم لمفهوم التاريخ، للعديد من معاصري ذلك الزمن.

لم يبدأ تدوين التاريخ الاسلامي المنظم، الا بعد ثلاثة قرون من ظهوره، بينما ابتدأ في وقت مبكر جدا تجميع المعلومات التاريخية عن حياة الرسول محمد(ص)، على شكل سيرة وأحاديث شريفة، باعتبارها عنصرا ضروريا لتقدم القضاء في المجتمع الاسلامي. وبمرور القرون إتضح ان ما نقل عن الفرق الاسلامية غير كاف. اذ ان عملية اضفاء صفة الشرعية على الأحاديث، هي سابقة تاريخية صحيحة، كما ان الفترة التاريخية المتصلة بحياة مؤسس الديانة الاسلامية، كان لها دور عملي وثقل قيم، في ترتيب وتنظيم قيادة المجتمع. وفي المقابل، كان عدم الاتفاق على بعض الأحاديث الصحيحة، والاعتماد على بعض الأحاديث الموضوعة، سببا في تفرقة وحدة الصف الاسلامي.

لم يشجع حضرة بهاء الله، في شريعته، جمع أحاديثه، منعا لسوء الاستعمال، وحتى لاتتخذ فيما بعد، شكلا قانونيا يتشابه مع نصوص أحكامه الثابتة، كما وانه منع معهد أمره الأعلى من سن القوانين الأساسية. ولم يستطع العديد من البهائيين القدماء، من ذوي الأصول الاسلامية، تمييز قيمة الحديث وأهميته التاريخية، واعتبروا ذلك تحريما من حضرته، فإمتنعوا عن تسجيل ذكرياتهم عن حياته.

ومن هذا المنطلق، يجب أخذ مذكرات استاد محمد علي سلماني، كمذكرات متفرقة، اذ انها شيء نادر لمصادرنا التاريخية0 وخلال سني نفي حضرة بهاء الله العصيبة من بغداد الى ادرنه ثم الى عكاء، رافق سلماني حضرة بهاء الله، كحلاّق خاص له. واستطاع هذا الروح الثائر الأمي، والمتقد بنار محبة مولاه، التغلب على رواسب الماضي والتمسك بعظمة الظهور الجديد.

كان ذا شخصية جذّابة، ومن عامة الناس، أميّ، لكنه سريع البديهة، مقدام، لطيف بغير حدود، سليم الطويّة، لا يعرف المخادعة، صاحب مواهب شعرية حقيقية، نافس بها شخصيات تاريخية مشهورة، أمثال، حلاّق بورماشيه المشهور، وموزارت وروسيني. ان موهبته الشعرية التي طفحت بسبب محبته لحضرة بهاء الله، وضعته في أعلى قائمة أسماء من كانوا أكثر منه علما وثقافة، من الشعراء البهائيين. فأكثر أشعاره تحمل الحب الحقيقي والعاطفة الصادقة بطريقة مجازية نثرية لم تفسدها الأساليب البلاغية المنمقة.

يجب ان لا نتوقع من مذكرات وانطباعات استاد محمد علي سلماني، الحصول على قراءة تاريخية موضوعية، بل هي انعكاسات قيّمة للاستجابات الانسانية، للفترة الانتقالية بين الشرائع السماوية. ان ما يستفاد منه هنا، ليس كنوزا عظيمة من جديد المعلومات فحسب، بل شرائح جليّة من العقود الأولى لهذا الدين، حيث يظهر للعيان، المواقف الحقيقية الصلبة لبعض البابيين الأوائل، من ورع وتقوى وحماس وثبات بطولي، واستعداد للتضحية بالنفس والنفيس.

اضافة الى ما ذكر، توضح هذه الصفحات، التناقض والبون الشاسع، بين شخصية صبح أزل، الضعيفة الرعديدة الجبانة، وبين عظمة وجلال حضرة بهاء الله.

أمين بناني
حزيران 1982

ملاحظة لابد منها

هنالك كتب نادرة لها مذاق شيّق، قلما يتذوقه القاريء في كتب أخرى، منها هذا الكتاب، الذي يسلط الضوء على جانب من بداية تاريخ الديانة البهائية، لم يتطرق له كتاب آخر من قبل، حيث نجد فيه صورا واضحة جميلة، لفترات يتشوق لأيامها وساعاتها كل مؤمن. فيصف لنا كاتبه الروحاني، تجربة لقاء ومصاحبة المظهر الالهي، التي لا ينعم بها الا من اختارهم الله لذلك، وتأثيرها العميق في حقيقة وجوهر روحه.

نلاحظ، ان في سرد جناب محمد علي سلماني، للقصص والحكايات والمذكرات، بعض التخلخل وعدم التناسق، والتقديم والتأخير في ذكر الاحداث والتواريخ والأماكن. وفي اعتقادي ان ذلك يعود، وكما يبدو، للفارق الزمني بين وقت الأحداث، وزمان تدوينها، حيث يتضح ذلك جليّا، بذكره تسلسل أسماء المناطق والمدن والأحداث، لسير موكب حضرة جمال القدم (بهاءالله)، من بغداد الى استنبول.

لذا حاولت، وبمساعدة بعض، ترتيب ما استطعنا عليه من اسماء الأماكن حسب مواقعها الصحيحة، قدر الإمكان، في حواشي الكتاب، وترك مسيرة الأحداث كما وردت في الكتاب الأصل، دون تدخل. حيث ان التصرف بها، سيذهب بإسلوب الكاتب ويضيع القصد من وراء هذه الترجمة، فيما لو تصرفنا به لتغيّر معناه، وضاع اسلوب الكاتب الأصلي بعد ترجمة الكتاب الى لغتين على التوالي.

آملين ان نكون قد وفقنا بإيصال مادة وروح ما أراد الراوي ايصاله الى القراء، بالرغم من اسلوب السرد.

ترجمة وتنضيد وتنظيم
سيفي سيفي
يناير / 1997م

ملاحظة:
ان النصوص المباركة الوارد ذكرها في الكتاب، عن لسان الهياكل المقدسة، (حضرة بهاء الله و حضرة عبد البهاء)، توضح المعنى فقط، وليس الترجمة الحرفية.

ذكرياتي عن

حضرة بهاء الله

بقلم
استاد محمد علي سلماني

ترجمتها من الفارسية الى الانكليزية
مرضية كايل

وترجمها من الانكليزية الى العربية
سيفي سيفي

مذكراتي

ولدت في مدينه اصفهان سنه 1835م، عند تولي محمد شاه زمام الحكم في ايران، لأب يدعى محمد ابراهيم اصفهاني، امتهن الحياكة، امى لايقراء ولا يكتب، شيعي اثنى عشري متعصب يخشى الله كثيراً.

والدتى اسمها مريم ومن مدينه اصفهان ايضاً، كانت في الثلاثين من عمرها عندما غادرت هذا العالم، ذهبت وخلّفت وراءها اربعة ابناء. تزوج والدي بعدها من امراة اخرى ورزق منها ولدا0

لم يسبق لأحد من افراد عائلتنا ان امتهن الحلاقة من قبل، ولكن والدى ارسلني لاعمل اجيراً في محل للحلاقة عند رجل ورع طيب القلب يدعى استاد اسماعيل، كان عمري انذاك تسع سنوات. فصرت أرافقه الى الحمّام العمومي كل صباح حيث يزاول مهنته، ثم اعود لأكمل بقية اليوم في العمل معه داخل المحل. عند بلوغي سن العاشرة، تركته ورحت اعمل حلاقا متجولا في سوق صباغي الملابس القطنية، وهو من أسواق مدينة اصفهان الشهيرة انذاك، ولم اعمل في محل معين بشكل ثابت منذ ذلك الحين.

لم يمض على تركي محل معلمي وقت طويل، حتى توفي والدى بمرض الكوليرا، وكان رأسه ساعتها على صدرى. ذهب وترك أثرا بالغا في نفسي لايمكن وصفه، كما توفي معه احد اخوتي. لم يخلف لنا شيئا بعد وفاته فكان علي العمل لاعالة اخوتي وزوجة ابي لتوفير احتياجاتهم.

من بين العديد من البابيين الذين يقطنون اصفهان، كان لي بعض الاصدقاء منهم ممن سكنوا حارتنا، اشتهروا بالورع والتقوى والطهارة، امثال استاد أقا بزرك اصفهاني واولاده المؤمنين الاربعة. وطحّان بابي اشتهر باسم "منقي القمح"(1)0 جهّز بعض هؤلاء البابيون انفسهم بما يحتاجونه للسفر، وشدوا الرحال صوب قلعة الشيخ طبرسي للمشاركة في الدفاع عنها. كنت على معرفة شخصية بثمانية منهم.

في سن الحادية عشر من عمري، شَرَّفَ حضرة النقطة الاولى (الباب) بمقدمه مدينة اصفهان، وسكن منزل امام الجمعة - وكان رجلا محترما -. في البداية لم تكن هنالك ضجة كبيرة عن حضرته، وكل ما سمعناه عنه، ان سيداً اسمه ميرزا علي محمد يكتب بسرعة مذهلة درجة انه ينتهي من كتابة صفحة كاملة وحبر بدايتها لما يجف بعد.

بعد فترة طويلة من وفاة والدي، قرر احد اقربائي تزويجي. وكان لدى احدهم ويدعى الحاج عبد الحسين علاّف، بنت جميلة. ذات ليلة، دعا هذا الرجل الى بيته جمعاً من الاصدقاء وكنت من ضمنهم، فقام مخاطبا الحضور في نهاية الجلسة، وقال: (يا ضيوفي.. ان الغرض من اقامة هذه الحفلة، هو مشاركتكم لي

مناسبتي الخاصة. سبق وان طلب عدد من الافراد يد ابنتي للزواج منها لكـني لم اوافق على ذلك - وذكر بعض اسـماء الحاضـرين - فأيّد كلامه من جـاء ذكـرهم واكـدوا صحة ذلـك. واسـتطرد الحـاج قولـه، أما الان، فانا أقـدم ابنـتي مع عظيم سعادتي ومن كل قلبي زوجة لمحمد علي).

ارتبكت بشدة لما سمعته، وقمت تاركا المجلس خجلا. فإتفق الحاضـرون على مسـاعدتي بعـدما علمـوا بفقر حـالي. شـئت ام ابيت، زوجـوني البنت وكنت في السابعة عشر من عمـري. بعـدها رزقنا بطفـل، وخلال هـذه الفـترة أعلنت ايمـاني وأصبحت بابيا.

حكاية ايماني

اما حكاية ايماني فكانت كالتالي..

في بداية حيـاتي وشـبابي كنت شـديد الملاحظة والنباهـة، اتـرك اذني وعيـني مفتوحتين دائماً، وامضي الـوقت الطويل أفكر بكلام علمـاء الـدين وافعـالهم الـتي أمقتها بشدة، لعلمي بفسق وفجور ابنائهم، كما انهم انفسهم كـانوا قسـاة وظلمة لايعملون بما يأمرون الناس به0

كـان الحـاج ملا محمد جعفر من مدينة آبـاده إنموذجا حيـاً لمثل هـؤلاء. فمن ضمن اعماله القبيحة العديدة التي شهدتها بنفسي؛ ان سيدة شـابة جميلة أرملـة، حـدث ان وقعت في مشـكلة، فجـاءت اليه تطلب مسـاعدته. دخلت عليه وانحنت أمامه وشرحت مشكلتها.

فقال لها: (عليك بتعييني وصيّا عليك).

أجابت المرأة بلطف وثقة: (ياسيدي.. عينتك وصيّا عليّ بكامل الصلاحيات).

اجابها الملا: (الان.. انت تحت سلطتي اذهبي وادخلي جناح حريم بيتي).

ادركت هـذه السـيدة الذكية سـيئة الحظ بسـرعة، المـأزق الـذي وقعت فيـه. فراحت تشرح وتؤكد له حسن سيرتها وسـمعتها بين النـاس. وقـالت: (ياسـيدي.. انا موافقـة.. لكن عليك حضـور حفلة عـرس صـغيرة اقيمها في مـنزلي اولا، ثم أزف بعدها كعروس لك).

انطلت الحيلة على هذا الاحمق الغبي، وذهب لزيارتها حسب الموعد المحـدد. فـاغتنمت السـيدة الفرصة وسـلطت عليه من أشـبعوه ضـرباً وركلاً، ولقنته درسـاً قاسياً، ورمت به خارج دارها. فلم يستطع الملا صـباح اليـوم التـالي اظهـار نفسه للعامة بسـبب ما حل به في الليلة الماضـية مـدعيا المـرض. لكـني كنت عالمـاً بحقيقة الموضوع.

من ضـــمن من التقيتهم ورافقتهم من المتعلمين والشـــعراء، مـــيرزا حما الشـاعر، ورجل بـابي آخر طيب القلب، يـدعى ملا علي، عـاد من قلعة الشـيخ طبرسي خائبا، بعد ان وصلها متأخرا، ولم يتمكن من المشـاركة في الـدفاع عنها جنبا الى جنب مع بقية المـدافعين الابطـال، وعـانى بعـدها الكثـير من الاضـطهاد والعذاب كونه بابيـاً. وبسـبب صـداقتنا، جـاءني شـاكيا بعد ان اغتصب أقربـاؤه بيته واستولوا عليه وتركوه بلا مأوى، وقال لي: (لم يعد لي بيت) فأجبته: تعال واسـكن معي في بيتي. فوافق على ذلك.

كان ينتظرني في السوق مساء كل يوم لنذهب الى بيتي معا. وذات يوم ونحن في طريق عودتنا، قال لي: أقا محمد علي.. عرفتك رجلا طيبا، واود ان اقول لك شيئا.

قلت: تفضل.

قال: انا بابي.

قلت: ليكن ذلك. لا شأن لي بدين الاخرين، انا صديقك وكن انت كما تشاء.

وانتهى الموضوع عند ذلك الحد.

بعد فترة، فكرت انه من الافضل لي الاستفسار من ملا علي عن اهداف البابيين وما يقولون ويفعلون. فقلت له ذات يوم ونحن نسير معا : (سبق وان أخبرتني انك بابي. فهل تفهم معنى ذلك ام لا؟).

قال: نعم أفهم.

قلت: سأسألك سؤالا واحدا فقط، وأريد منك جوابا بجملة واحدة لاغير0

قال: تفضل.

قلت: ماذا يقول هذا السيد الملقب بالباب في موضوع وحدانية الله؟

فكّر الملا علي قليلا، ثم أجاب: (يقول: لايمكن لأحد ان يصل الى عالم الحق. فالله هو الله والخلق هم الخلق).

تأثرت كثيراً حال سماعي جوابه؛ وسجدت في نفس المكان واضعا رأسي على الارض، وقلت: (ان هذا الرجل حق).

ومنذ تلك الساعة، بدأت بالبحث والاستقصاء عن الدين الجديد، وشيئاً فشيئاً آمنت ورحت التقي بالبابيين.

حدث ان ذهبت في شهر رمضان، لزيارة أقا محمد جواد نجف آبادي في منزله، وكان رجلاً بابيا مخلصاً صادقاً وشعلة من الحماس، وبعد دخولي منزله، حدث ان إنتبه الجيران لجلستنا، فإقتحموا البيت، وألقوا القبض علينا واقتادونا الى دار الحكومة.

كان الحاكم خان لار ميرزا احتشام السلطنة، أميرا متعطشا للدماء، فاودعنا نحن البابيين الخمسة السجن لمدة شهرين. وفي تلك الاثناء، حدثت أزمة غذائية كبيرة ارتفع على اثرها سعر رغيف الخبز بشدة، وراح الناس يتوافدون للاعتراض عليه كل يوم، ويقدموا شكاواهم لصعوبة الحال، ويطالبوه - في نفس الوقت - بالتخلص منّا قائلين له: (اقتل هؤلاء البابيين، الى متى تحتفظ بهم؟)0

كنّا خمسة، الاول محمد جواد، وهو كما ذكرت رجل طيب القلب كبير السن، قضى شطراً كبيراً من عمره متجولا في مناطق اصفهان مبلغاً للامر، والثاني عبد الكريم اصفهاني، وهو الان من الناقضين للعهد(2)، والثالث محمد صادق شقيق عبد الكريم؛ بابي فاتر الهمة ضعيف الايمان؛ والرابع الملا علي، الرجل الذى بلّغني الأمر، صاحب الاخلاق العالية والقلب الطاهر، اما الخامس فهو انا0

جلسنا نتشاور مع بعضنا البعض للاتفاق على طريقة وقصة واحدة نتمسك بها لنرويها عند التحقيق حتى لايمكن لاحد منّا نكران التهمة الموجهة اليه؛ وفي النهاية، توصلنا الى الخطة التالية:-

اتفقنا قبل كل شيء ابعاد محمد صادق من بيننا، لضعف ايمانه وعدم ثباته على الامر. لذا اخبرنا السجّانين بأنهم القوا القبض عليه خطأً، فنجحت خطتنا وأطلق سراحه بعد فترة وجيزة، وبقينا نحن الاربعة فقط.

قال محمد جواد، يمكنكم تـرك الموضـوع برمته على عـاتقي، فأنا رجل كبـير السن وفي أواخر سني حياتي وسيقتلونني ويطلقون سراحكم.

رفضــنا اقتراحه جميعــا، وقلنا لــه: لايهم ما ســيحدث، فجميعنا شــركاء في القضية وسنبقى كذلك.

بعد فترة، استدعانا الامير، فمثلنا امامه مع عدد من اللصـوص السـجناء. وبعد ان اصدر بحق اللصوص حكمه. التفت الى أقا محمد جواد، وسأله:

هل أنت بابي؟

اجابه: نعم.

فإلتفت الى ملا علي، وسأله: وانت ايضاً؟

أجابه ملا علي: بالتأكيد.

ووجه الأمير نفس السؤال لي ولعبد الكريم، وحصل على نفس الجواب.

عندها صاح آمرا: خذوهم الى ميدان الشاه (الميدان العـام)، واقتلـوا ملا علي ومحمد جـواد، واجـدعوا أنف واذان كل من عبد الكـريم ومحمد علي، ثم طوفـوا بهم في اسواق المدينة الأربعة. فأخذنا الجلاّدون لتنفيذ ما أمروا به.

عند وصولنا الى الميدان العام، تصادف مـرور رئيس الشـرطة محمد صـادق، وكـان رجلا طيبـاً، سـبق وان تعارفنا من قبـل، وحالما شـاهدته، خاطبته بقـولي: (ياسيدي.. انت شاب ايضاً). وكان هذا كل ما قلت له. فعرفني، وراح يتبعنا.

وحدث خلال سيرنا ان بدأ ملا علي بالغناء والرقص وترديد الاشعار، فقال له أقا محمد جـواد: بامكاننا ترديد العديد من هـذه الاشـعار والكلمـات. لكن علينا أخذ حياة صاحبينا بنظر الاعتبار، خشية سفك دمهما هدراً. فأسـكتت هـذه الكلمـات ملا علي ولم ينطق بعدها بشيء.

بوصـولنا الى مشـهد الفـداء، وبينما كـان الجلادون منشـغلين بتقطيع أطـراف اللصوص، راح اقا محمد جواد وملا علي، يخاطبان جمـوع الحاضـرين، ويقـولان: (يا أيها النــاس، لم نفعل شــيئاً منكــراً، جريمتنا الوحيــدة، هي ايماننا برجل من آل البيت أعلن انه القائم الموعود)0

جـاءت لحظة الشـهادة.. !! فتمـدد أقا محمد جــواد على الارض، بعد ان خلع عمامته ووضعها تحت رأسه، ونـادى على جلاده: (تعـال يا جلاد... وافعل ما تشـاء). وفعل الملا علي الشيء ذاته. فتقدّم الجلاد، وقطع رأس أقا محمد جواد، ثم رأس ملا علي. وعنـدما حـان دوري، تقـدم رئيس الشـرطة من الجلاد، وقـال لـه: (اقطع قليلا بما يفي تنفيذ الحكم). ففعل الجلاد ما أمر بـه، لكنه قطع جـزءاً كبـيراً من أذن وانف عبد الكريم. اخـذونا على اثرهـا، وداروا بنا في المدينـة، ثم اعادونا الى السـجن. فجــاء اهلنا في نفس الليلة واخرجونــا. فــدأبت على معالجة انفي واذني حتى اندملا.

ادركت في النهايــة، ان مدينة اصــفهان لم تعد مكانا يليق باقــامتي، فكلما فكّــروا في اعتقــال بعض البــابيين، القــوا القبض علي معهم، اذ ان غالبية اهل المدينة يسفرون بعـداوتهم لي. فـأخبرت عبد الكـريم، اني تـارك اصـفهان. وجمعت حاجياتي وجهزت نفسي واخذت ماعندي من مال وتركت المدينه بلا عودة.

مغادرتي اصفهان

خلال اقامتي في اصفهان، جاءني صديق من بغداد يحمل قصيدة مطلعها:

يا من حملت هذا الكأس لي
من مَكان سرمدي
أبعد عن وجهك القناع

لم يطلعني صديقي على اسم كاتب هذه الأبيات. لكني قلت له: ان غاية الشاعر من هذه القصيدة ليس التأليف فقط، ان في ذهنه مقصداً آخراً. وعلمت فيما بعد ان المؤلف هو حضرة بهاء الله نفسه.

من الشخصيات التي اذكر زيارتها لاصفهان ايام اقامتي فيها، رجل يدعى ميرزا سليمان قلي، جاء من العاصمة طهران وبلّغ الامر للعديد من الناس. وكان على درجة كبيرة من الايمان والعزيمة الروحانية، لكنني لم ألتق به.

وحدث في ايام حياة حضرة بهاء الله، ان جاء الى اصفهان رجل أعمى، من الهند(3) - لم ألتق به أيضا - لكني علمت ان الجميع أثنوا على قدراته العقلية وخبراته المتعددة وسعة علمه، واستطاع ايصال الكلمة الى الكثير من الناس وبلّغ العديد منهم. ومن جملة المدن التي زارها مدينتا طهران وبروجرد، مقر اقامة الامير ألدرم ميرزا، الذي قام على قتل هذا الرجل فيما بعد. في احدى المناسبات، كنت في محضر الجمال المبارك، عندما تفضل: (ان هذا السيد قد عرفنا).

وعاش في اصفهان آنذاك ايضا، رجل يدعى سيد اسماعيل اردستاني، تشرّف لاحقاً بمحضر حضرة بهاء الله في بغداد. وساعة تقديم الشاي للسيد اسماعيل، إغتنم الفرصة، وسأل مضيفه، وقال: يا مولاي.. ألا تأمرهم بتقديم الشراب الروحاني لي؟! والحقيقة عندما خرج من المحضر المبارك كان على درجة كبيرة من التغيير الروحاني.

ذات يوم، وبينما كان سيد اسماعيل في طريقه الى منطقة الكاظمية - وتقع خارج بغداد - توقف في منطقة تدعى قمبر علي، وأخرج مدية من جيبه وقطع بها حلقومه. عندما سمع حضرة بهاء الله بالخبر، تفضل: (كان لابد لهذا السيد من الوصول الى هذا المقام)(4).

تحركت مسافرا من اصفهان مع عبد الكريم وأحد البابيين القدماء في قافلة ضمت مجموعة من الزوار الى مدينة كربلاء، وكان معنا خمسة من الاصفهانيين استطعت تبليغهم الامر المبارك خلال الطريق. وبوصولنا الى بغداد، افترقنا كل الى وجهته.

في بغداد

وصلت بغداد قبل سنة واحدة من مغادرة حضرة بهاء الله لها سنة 1863م. ولم يكن قد أعلن أمره المبارك بعد، بينما كانت كل أقواله وأفعاله تشير الى انه مظهر الهي. لكنه لم يصرح في كل ما تفضل به (انني هو..!).

ذهب للمحضر المبارك، من يعلن عن وصول جماعة المسافرين، وعند دخولنا وجدنا ميرزا أقا جان وميرزا محمد قلي. فألقينا التحية على الحاضرين. ومن أول لمحة مني لحضرته، سَلبت طلعتهُ البهيّة لُبي وأسرت قلبي تماماً، وأدركت ان هذا الجناب يختلف ويسمو على الاخرين في كل شيء، غير اننا لم نعرف عنه

اكثر من انه قائد جامعة البابيين. وعلى كل حال، فالجلال والعظمة التي وجدتها على محيّاه المبارك اقنعتني انه كل شيء.

أما بالنسبة لاقامتنا، فقد أمر حضرته بنزولنا في أحد الخانات، وسكنت مع اثنين من المؤمنين، هما: أقا ضياء اصفهاني وعبد الكريم.

* * *

من عادة الجمال المبارك ايام اقامته في بغداد، شرب فنجان من الشاي في جزء بيته الداخلي ثم يتركه للقسم الخارجي المكوّن من غرفة واحدة نظيفة مرتبة، شيّدها أستاد اسماعيل البنّا الكاشاني الذي توفي فيما بعد في عكاء.

وهكذا.. يدخل حضرة الجمال المبارك، الغرفة ويشرع بالمشي ذهاباً وإياباً، وهنا يتشرف الاصحاب بمحضره المبارك. يبقى هكذا حوالي الساعة ثم يتوجه الى مقهى عام، يتردد عليه كل يوم، تعود ملكيته لمختار أحد أحياء مدينة بغداد القديمة، واسمه سيد حبيب عرب - وهو رجل طيب متواضع لكنه غير مؤمن بالأمر - حيث يتشرف بمحضره هناك عامة الناس. وكان من ضمن الخدم الدائمي الحضور بين يديه في المقهى، أقا نجف علي وأقا محمد إبراهيم وأنا معهم في بعض الاحيان.

في هذا المقهى، يتناول حضرته كل يوم قهوة الصباح، ثم تُجهّز نارجيلته البهبهانية الخاصة به، الا انه لايدخنها إلا نادراً(5)، بينما يجلس حضرته طوال الوقت يتجاذب اطراف الحديث مع جلاّسه، وكانت هذه طريقة رائعة لنشر الأمر المبارك.

بعد ان يقضي حضرته حوالي الساعة في المقهى، ينهض ليعود الى غرفته في جناح بيته الخارجي، حيث يجلس حتى العصر، ليعود بعدها للمقهى حتى المغرب. بعد ذلك، يرجع الى القسم الداخلي من بيته وأحياناً الى الخارجي، حيث اعتاد الأصحاب الجلوس معاً، حتى ما بعد الغروب بساعتين، ثم يتفرقوا كل الى وجهته0أما حضرته فكان يشاركهم جلساتهم تلك في بعض الاحيان0

أما بخصوص المقهى، فكان يَؤمُهُ العلماء والقضاة والحكام وكبار رجالات بغداد، ليقدموا أنفسهم لحضرته بكل احترام وتقدير0 وكان جميع سكان بغداد وغالبيتهم من المسلمين السنّة، يتكلمون عنه فرادى وجماعات بغاية الاحترام والتقدير، وفي كثير من الاحيان يتقدمون لحضرته بأسئلة ومسائل صعبة يطلبون أجوبة وحلولا لها. مع كل ذلك، فلم يذهب حضرته لزيارة أحد في بيته، كما انه لم يجالس حاكم بغداد نامق باشا.

ذات يوم، تشرّف عدد من المؤمنين من قرية سلطان آباد، واذا بكبيرهم (الملا باشي)، يطرح على حضرته سؤالاً، قال: (يا عمو(6). أنت هو.. فلماذا تتركنا نتخبط هكذا في هذه الحياة الصعبة؟).

قررت البحث عن طريقة أخدم بها حضرة بهاء الله، فذهبت مع اثنين من المؤمنين الى حمّام عمومي يتردد عليه حضرته يدعى حمّام لطيف(7)، ويعمل فيه حلاّقان يقومان على خدمة حضرته، الأول هو الحاج بشير والثاني عبد الرحمن البغدادي. قدمني الاصدقاء الى الحاج بشير كزميل في المهنة، وبأني على خبرة ودراية جيدة بها.

طلب الحاج بشير مني العمل معه بشرط موافقة حضرة بهاء الله على ذلك. وقال انه سيذهب اليه بنفسه للحصول على الموافقة. ففعل، وقال: (أريد ان يعمل خادمك معي). أجاب حضرته: (حسن جداً). فعاد بشير يزف لي البشرى.

في اليوم التالي، وقبل حضور حضرة بهاء الله الى الحمام، جاء أقا نجف علي - الذي استشهد فيما بعد بطهران - وأقا محمد ابراهيم النيريزي، وهو رجل محترم، وهما يحملان الصابون وصبغة الشعر، فتركاها وانصرفا.

جهزت لحضرته المكان المناسب، وانتظرت وصوله.

بعد وقت قليل.. شرّف حضرته المكان، وتقدم ليجلس على الدكة في الوسط، فجاء الحلاّق عبد الرحمن، وتقدم منه ليحلق له خلف رقبته وما دونها بقليل وبطريقة يفضلها أشراف تلك الايام، كما حلق ما تحت ذقنه. فوقفت أراقب عمل الحلاّق، ولاحظت ان حضرته كان دقيقاً جداً. فقد رفع يديه مراراً، ليشير الى أماكن معينة من جسده المبارك، متفضلاً: (إحلق هنا00 وإحلق هنا00)0

وهكذا بقيت أراقب الحلاّق، وهو يؤدي عمله. بعدها جاء دوري للعمل، وجيء بالماء وعاملت شعر رأسه المبارك مرتين او ثلاثاً بالصابون الحلبي، ثم قام بعدها، لينسحب الى المكان المخصص لاستعمال الحناء، ولدلك جسده المبارك بقفاز قماش خشن الملمس في نفس الوقت. ثم جلبت له مناشفه الخاصة. وبينما هو قائم على تجفيف جسده، تمدد حتى أتمكن من وضع الحنّاء على لحيته، ثم اعتدل للجلوس، فوضعت الحنّاء على شعر رأسه المبارك، ثم تمدد ثانية، فوضعت مخدّة تحت رأسه، حتى أتمكن من تدليكه بالقفاز، وهنا.. أغتنمت هذه الفرصة، وهو على تلك الحالة، فإنحنيت لاقبّل قدمه مرتين أو ثلاثاً. مرة أخرى، نهض واعتدل في جلسته، فأخذت القفاز الى خلف يديه وذراعيه، عندها أمرني بالاسراع في جلب الماء لغسل جسده. فغسلت الحناء، وأضفت الصبغة السوداء، وعاملت جسده بالصابون ثم غسلته في النهاية. بانتهائه من الحمّام، غادره وتركني غارقا في حالة من السعادة اللامحدودة.

اعتاد المجيء الى هذا الحمام، كل عشرة أيام تقريباً - والذي عملت به شهرين او ثلاثة - كل من حضرة المولى (عبد البهاء) الغصن الاعظم، وبقية الاغصان، أبناء حضرة بهاء الله، مثل ميرزا مهدى (الغصن الاطهر) والغصن الأكبر (ميرزا محمد علي) وآخرين غيرهم.0 وأقا كليم (ميرزا موسى) أخ حضرة بهاء الله المخلص.

ذات يوم، خاطبني حضرة بهاء الله ونحن داخل الحمّام وتفضل: ستكون ضيفي غداً في الوشاش(8). ففعلت كما أمرت، وذهبت مثلما فعل العديد من المؤمنين. وفي نفس ذلك اليوم، نزل من قلم حضرة بهاء الله لوح "ملاح القدس"(9)0

حدث ذات يوم داخل الحمام، ان اعتدى خادم ميرزا يحيى(10)، بالضرب على ملا حسين اصفهاني خادم أقاي كليم. وبينما كان المعتدي يرتدي ملابسه، وصل حضرة بهاء الله، وبعد أن استفسر منه عن سبب فعلته عنّفه بشدة. فوقع الخادم على قدمي حضرته يطلب الصفح والمغفرة لما بدر منه. وفي النهاية، نال ما أراد. أما بخصوص المجني عليه، فقد خرج من الحمّام واختفى، ولم نعثر له على أثر. فاستدعيت في صباح اليوم التالي الى البيت المبارك، وأمرت بالذهاب والبحث عنه واحضاره. فبحثت عنه في كل أنحاء بغداد، وأخيرا وجدته وبذلت قصارى جهدي حتى أقنعته بالعودة معي الى البيت، حيث استقبله حضرته وواساه وأسدى له النصح وأرضاه.

وذات مرة، تفضل حضرة بهاء الله يخاطبني، بينما كنت أَهمّ بتدليك جسده المبارك، في اشارة لرحلته الى استنبول: (يا أستاد محمد علي.. نحن نفكر بالقيام

برحلة طويلة. فما قولك في ذلك؟) فكان جوابي أن انحنيت له. وكـان هـذا كل ما حصل في ذلك اليوم.

بعد يومين، تفضل حضرته، أنه ينوى الذهاب الى دار الحكومـة. فـأرعبني هـذا الخبر. عندها ذهبت وتمنطقت خنجراً وتسلحت بمسدسين وضعتهما حـول وسـطي، وتـوجهت الى مقر الحكومة لأسـتطلع الأمـر. وما أن عـبرت الجسر وتخطيت محل الشـكرجي سـيد حسـين اصـفهاني بمسـافة قليلـة، حـتى شـاهدت أقـاي كليم، فأسرعت اليه بعد أن ناداني واستفسرت منه عما يجري، فأخبرني بأنهم استدعوا حضرة بهاء الله لمقابلته.

لم يمض وقت طويل حـتى عـاد الجمـال المبـارك ليخبرنا ان الأوامر صـدرت من استنبول بتحرك حضرته والسفر الى اية وجهة يختارها في حدود الامبراطورية العثمانية بعيداً عن مدينة بغداد. وترك لحضرته الخيار بذلك.

وانتشرت شائعه تقول أن السفير الايراني في استنبول، الحاج مـيرزا حسـين خان، كان وراء هذا الاقتراح، حيث قال: (بـالنظر لمتاخمة بغـداد للـتراب الايـراني، فان أمر بهاء الله ينمو باطراد).

كما أرسل والي بغداد نامق باشا، الرسالة التالية الى حضرة بهاء الله: (سبق وان وصلنا هذا الفرمان عشر أو اثنتي عشرة مـرة من قبـل، ولكـني لم أخـبرك به، وكان ردي عليه في كل مرة هو: "أن بهاء الله قد سكن بغداد لاثنتي عشـرة سنة(11) ولم تبدر منه أية مخالفة اطلاقاً").

وفي جواب حضرته لمراسل نامق باشـا، حـول تحديد زمـان ومكـان لقائهمـا، تفضل قـــائلا: (قل لنـــامق باشا اني لن أحضر الى دار الحكومـــة، وســـآتي الى المسجد المجاور بدلاً عنها. وهناك سأتكلم مع من ترسله الحكومة لمقابلتي).

ذهب حضـرته الى المسـجد، ووجد نـائب الحـاكم بانتظـاره، ومعه الرسـالة التالية: (ان نامق باشا خجل من لقائك شخصياً. لذا أرسـلني نيابة عنـه). ثم أخـرج الفرمان الحكومي وراح يقرأه.

فكان جواب حضرة المحبوب: (سأذهب الى استنبول). عندها ثبّت هذا الجـواب في المحضر رسمياً.

بعد فترة، تفضل حضرته بخصوص الرحلة: (سـأذهب بمفـردي). عند سـماع آل بيته ما تفضل به، بكوا جميعا وناحوا وأصروا على مرافقته، مما دعاه للنزول عند رغبتهم وقبول مرافقتهم له. وتفضل بذكر أسماء من سيبقى في بغداد.

وذات ليلة، جـاءني مـيرزا محمد قلي، ليخـبرني أن حضـرته، قد اختـارني من ضمن مرافقيه.

بعد عـدة أيـام، تقـدم حضـرته الى حديقة نجيب باشـا، الواقعة خـارج مدينة بغداد، والتي عرفت فيما بعد باسم "حديقة الرضوان"، حيث نصبت خيمته. وهنالك أعلن أمره المبارك.

ومن ضمن ما تفضل به وتكلم عنه؛ مقام حضرة البـاب، ووصـفه بأنه القـائم الموعـود، وان الأمر المبـارك كـان أمـره. وأعلن في نفس اليـوم وبنفس الـوقت وبالطريقة الرائعة ذاتها، عن دعوته هو أيضا. وبقي يتكلم عن دعوة حضـرة البـاب ودعوتـه، في كل صـباح ومسـاء، طـوال الإثـني عشر يوما الـتي قضـاها في تلك الحديقة.

الرحلة الى استنبول

جـاء اليـوم الأخـير، وتقـدم رجل تـركي من أهل السـنّة، ليأخذ على عاتقه مسـؤولية نقل أغـراض ومتـاع المسـافرين وتحميلها على بغالـه. ومن ضـمن ما شـملت القافلة أيضـاً ثمانية أو تسـعة هـوادج(12). أما حضـرة المـولى، فـإمتطى حصـاناً، وأوكلت اليه مهمة الاعتنـاء بالحيوانـات ومراقبتهـا. وامتطى مـيرزا محمد علي، حصـاناً أيضـاً، كما هو حـال بعض المؤمـنين، أما البقية فقد أنهـوا الرحلة مشياً على الاقدام.

أما أنـا، فـأوكلت لي مهمة توزيع المؤونة والمحافظة على معـدات وأدوات السفر، فان أحتـاج أحد المسـافرين شـيئاً مما في عهـدتي من أغـراض ومعـدات، فاني أعيرها اياه وأقوم باستعادتها منه بعد انتفاء حاجته منها.

رافقنا في بداية السفر، عدد من المؤمنين الى أول نقاط الرحلـة، ثم عـادوا أدراجهم، لأن حضرة بهاء الله، تفضل في ساعة الرحيل، بما يلي: (كل من يرافق القافلة بدون اذني، سيبوء بالخسران). ورغم ذلك رافقنا عدد من الاشخاص(13).

كان من ضمن المرافقين لحضرته في سفرته، الاشخاص التالية اسماؤهم: أنا، ومحمد علي خياط باشي الكاشاني ويعمل خياطاً، وميرزا أقا (رافق القافلة بـدون اذن وكانت نهايته مؤسفة)، ونجف علي، الذي رافقنا نتيجة لوسـاطتي، وأقا محمد علي التتنجي(14) اصفهاني، وعبد الغفار، وأقا محمد صـادق اصـفهاني، ومـيرزا أقا جان. كما كان معنا، أقاي كليم، وميرزا محمد قلي، وحضرة المولى، وميرزا محمد علي، وسيد محمد اصفهاني، والحاج ميرزا جاني، الذي كانت حياته في خطر كبير بسبب مشاجرته مع أحد أقرباء ميرزا بـزرك خـان آلجي، وكـان من المؤكد هلاكه لو بقي في بغداد. وضمت القافلة أيضاً، أقا محمد حسن مسـافرخاني القمّي، وأقا حسين آشجي - الطبّاخ - وكـان آنـذاك صـغيراً، ويعمل خادمـاً للـبيت المبـارك. كما ضمت القافلة أيضاً، أحمد ابن ميرزا يحيى(15).

في كل محطة نصل اليها على الطريق، كان يرافقنا خمسة او ستة فرسـان الى النقطة التالية. وحدث ذات ليلة، بعد أن نصبنا مخيمنا، أن سـرق شـخص مـا، رزمة من خيمة حضـرة بهـاء الله واختفى. فبحثنا عنه في كل مكـان ولم نجد له أثرا.

ان غالبية نقاط التوقف والاستراحة كانت على ضفاف نهر دجلة. وكان حضرة المـولى يـنزل للسـباحة في النهر أكـثر الأيـام. وكلما توقفنا للمـبيت يتجمع النـاس للقائنا، فقد انتشر خـبر سـفر (رئيس البـابيين) الى اسـتنبول. وكعـرف متبـع، كـان الحرس، يمتطون خيولهم ويرتدون لباسهم الرسمي ويضربون الطبول، كلما اقتربنا من نقطة جديدة للتوقف، حتى يتجمع الناس للقائنا والترحيب بنـا. وحـال تجمعهم، يبدأ حضرة بهاء الله بتبليغهم الأمر المبارك.

* * *

أتذكر في بغداد، ان ميرزا يحيى أزل، كان نـادرا ما يـترك بيته لمناسـبة مـا، فقد كان دائم الاختباء فيه، وان حدث وخرج، فانه يتخذ كافة الاحتياطات اللازمـة، لعدم تعرف الناس عليه واكتشاف شخصيته. لذلك تفضل حضرة بهاء اللـه، يخاطبه سـاعة الرحيـل: (قل لي أين تـود السـفر، وسأخصص لك خادمـاً لتكـون بأمـان). فأجـاب أزل: يـامولاي.. سـأتبعك أينما تـذهب. ثم فكّر قليلاً، وأضـاف: لكن أرجو أن

ترسلني قبلكم لئلا يراني أحد بصحبتكم(16). لذلك عيّن حضرته، أحد المؤمنين الأعراب الأذكياء لمرافقته، ويدعى زاهر(17). وهكذا ترك الاثنان بغداد بطريقة لم ينتبه لها أحد. وخلال نقاط الطريق العشر الاولى من بغداد وحتى مدينة الموصل، لم نعثر لهما على اثر.

نصبنا خيمة الجمال المبارك في مدينة الموصل على ضفاف نهر دجلة، واحتشد غالبية الأهالي للقائه والتشرف بمحضره المبارك، وأظهر لهم عظيم محبته وعطفه. كان الناس في غالبية المناطق التي مررنا بها، يحضرون ومعهم اسئلة يودون الحصول على اجابات عنها. كما شرّف حضرته الحمام العمومي، وقمت على خدمته هنالك. ان جملة ما قضى حضرته في المدينة هو ثلاثة أيام. وهنا في هذه المنطقة، انتبهنا لوجود خيمة صغيرة على ضفة النهر في ركن قصي، يسكنها رجل ضئيل الحجم ذو لحية طويلة بصحبة زاهر. فخمّن بعضنا أن يكون هذا الشخص هو أزل، لكن أحداً من المؤمنين لم يتعرف عليه، لعدم رؤيتهم شكله سابقا.

بعد ذلك، حدث أن جاء ازل الى حضرة بهاء الله، يشكو خادمه زاهر، وقال: (ان هذا الخادم مستقل برأيه ولا يحترمني ولا يلتزم بأوامري.. أما زاهر، فأجاب على تهمة أزل باللغة العربية وقال: (يامولاي.. اني أتوسل إليك أن تبقى هذا النكرة، بعيداً عن الانظار، وأن لاتدع الناس يشاهدونه فان فعلوا كفروا).

أعطى حضرة بهاء الله، زاهر بعض المال، وأمره بالعودة الى بغداد، وأمر باقر الكاشي بالتفرغ لخدمة أزل ومرافقته. ولم ينضما لقافلتنا طوال بقية الرحلة.

وباختصار تركنا الموصل وتوجهنا الى كركوك(18) (شمل الطريق عشر محطات للتوقف بين المدينتين)، وفي أول ليلة، توقفنا في منطقة ماردين الواقعة على سفح جبل شاهق، سرق بغلان من قافلة اخرى تسير بمحاذاة قافلتنا(19)، فجاء صاحب البغلين الى حضرة بهاء الله يشكو ما حل به. فطمأنه حضرته، وقال له: (لن نرحل من هنا حتى نعثر على بغليك). ثم نهض وتوجه نحو المدينة، يخاطب أهلها ويعلمهم بضرورة العثور على دابتي الرجل واعادتها اليه، فلم يمض وقت طويل، حتى أعيد البغلان الى مالكهما، بعد ان مكثنا في ماردين ثلاثة أيام.

في كركوك، كان يسكن أحد الدراويش ممن شرفّهم حضرة بهاء الله بانزال لوح الوديان السبعة له(20). لكنه كان قد توفى قبل وصولنا الى المدينة، وخلّفه ولده الشيخ علي الذي جاء لتقديم نفسه بغاية العبودية والمحبة.. بعد عدة أيام، وصلنا ديار بكر (وكانت هنالك عشر محطات توقف بين كركوك وديار بكر). فنصبنا فيها خيامنا على ضفاف نهر دجلة. وكعادة حضرة بهاء الله لم يدخل هذه المدينة أيضاً. وفي ديار بكر، تقرر ان تسلك القافلة طريق سامسون. كما مررنا بمدينة أربيل(21)، وتوقفنا بها يوما واحداً. وبقي يحيى أزل، يلازمنا كظلنا أينما حللنا، ورويدا رويداً، بدأ الأصحاب يتعرفون عليه، لكني لم استطع ذلك.

* * *

وصلنا سيفاس، وتوقفنا على ضفاف نهر دجلة، وهنا وجب علينا نقل جميع امتعتنا الى الجهة المقابلة من النهر. فذهبت الى حضرة المولى، وقلت له: (هنالك فوضى وضوضاء كبيرة على الضفة الاخرى من النهر. اسمح لى بالعبور لأقوم باستلام حاجياتنا). فوافق حضرتة على اقتراحي.

عندما ارتقيت سطح المركب، وجدت أزل جالسا فيه، الا انني لم أتعرف عليه. وبمجرد جلوسي، إلتفت إلي، وسألني بفضاضة بالغة، يكره الانسان سماعها:

ـ من أين أنت؟
ـ من اصفهان.
ـ من أعطاك الإذن بارتقاء هذا المركب؟
ـ انا هنا بإذن شخص عظيم.

فقال: الان، وبما انك جئت الى هنا بدون إذن مسبق. فماذا ستفعل لو ضربتك بهذه الهراوة على رأسك مرتين أو ثلاث (وكان يحمل بيده واحدة)؟ قلت: إن كنت أنا مهذباً، فسأسامحك. ولكن، اذا حصل لي أذى من جراء هراوتك هذه، فسآخذها منك، وأضربك بها بحيث أنسيك شجاعتك. ورغم ان جوابي أثاره وأغضبه، الا انه لم يتفوه بجديد. وهنا وصل المركب الى الضفة المقابلة. فنزلت، وبدأت باستلام الحاجيات والأمتعة، كما اخترت مكاناً مناسباً لنصب خيمة حضرة بهاء الله حيث مكث لمدة يومين.

* * *

وكما ذكرت سابقا، كان حضرة المولى يذهب في كل نقطة نتوقف بها، للسباحة والاستحمام، وفي هذا المكان بالذات، دعاني للسباحة معه، الا انني اعتذرت عن الذهاب، مدعياً اصابتي بالبرد. فتركني وذهب وهو يقول: حسناً اذن...

كما كان أقا جان، يخلع ملابسه في بعض الأحيان، وينزوي في مكان جانبي، ليأخذ حمّامه. وبالمناسبة، فقد استبدل أزل اسمه في هذه المنطقة، وإتخذ له إسماً جديداً، هو ميرزا علي.

عندما كنّا في سيفاس، كانت المجاعة منتشرة فيها، والبرد شديد، كما اننا لم نستطع العثور على شعير أو تبن للحيوانات. لذلك، اشترى حضرة عبد البهاء، برسيماً أخضراً ليوزعه على البهائم.

أما حضرة بهاء الله، فشرّف الحمام العمومي، وقمت على خدمته، حيث استحم واستعمل الحناء وصبغة الشعر، ثم عدنا الى المخيم.

في بعض الأحيان، كان يحيى أزل، يزور خلسة(22)، الأجنحة العائلية لحضرة بهاء الله، حيث يتناول طعام العشاء. ووصل علمي ذات مرة، أنه تناول صحنا من الكباب مع البصل (طاس كباب)، وقال مغالطا من حوله، وهو يحاول افهامهم، ان البصل اشتبه عليه ليموناً(23): (هذا طاس كباب رائع، وأنا أفضله مع هذا الليمون).

غالباً ما كانوا يتركون لأزل، أثناء الليل، صحنا عظيما من الطعام، يسلمونه لزوجته التي تحتفظ به، لتقدمه اليه صباح اليوم التالي. في الحقيقة، كان أزل يأكل ما يكفي رجلين. أما أنا فلم أعرفه جيداً الا هنا.

تشاجرت زوجة أزل مع رفيقة سفرها في الهودج خلال الطريق. وعلى أثر ذلك، نقلت من مكانها الى مكان زوجة ميرزا محمد قلي. وبأعتباري مسؤولاً عن رعاية هودجها، لاحظت ان باقر - خادم أزل - يأتي اليها كل صباح، ليأخذ منها صحن طعام، يقدمه الى زوجها، ليتناوله وهو على صهوة حصانه.

ذات يوم، وكنت جائعاً جداً، انتزعت صحن الطعام من يد باقر، حال مروره بجانبي، وبدأت بتناوله، فشاهد أزل ما حدث عن بعد، وأسرع وهو هائج جداً، ليهاجمني من فوق ظهر حصانه. فلم يكن أمامي مفر، الا رمي الصحن من يدي، واطلاق ساقي للريح هرباً منه.

في الحقيقـــة، ان أزل تشـــاجر وتخاصم مع غالبية المســـافرين في الرحلة وخصوصاً معي. كان رجلاً مزعجاً، ثرثاراً وبخيلاً، ولم أر فيه شـيئاً اخـر، وان رداء العظمة الذي يحاول الظهور به، لم يتناسب معه أبداً.

حدث في مدينة خربـوط، ان أرسل حضـرة بهـاء اللـه، من يشـتري له كمية من الكز (نــوع من الحلــوى الايرانيــة)، وأمر بتوزيعها على المســافرين، وخصص ثلاث قطع جيـدة منها لأزل. كـان الـوقت بعد الظهـر، ولم يمض وقت طويل على تناول أزل طعام الغذاء، وبما ان أزل كان ملتزماً بنوع من الحميـة، حفاظـاً على صحته، لذا قرر عدم تناولها، والاحتفاظ بها إلى وقت آخر.

كان من ضمن المسافرين في رحلتنا، أخَوان، الأول يدعى أستاد محمد بـاقر الكاشاني والثـاني محمد اسـماعيل، وكانا يمتهنـان الخياطة - وهما شـقيقا البطـل، بهلوان رضا، الذي مات في سجن ناصر الدين شـاه - وخلال الرحلـة، أُلقيت على عاتقهما مسـؤولية اعـداد الشـاي للمسـافرين. نـادى أزل، أقا محمد بـاقر، وأمـره بالاحتفاظ بالحلوى معه، حتى وقت طلبها. فجمع هذا الرجل البسـيط، كل الحلـوى معاً في ورقة واحدة، ووضعها تحت أبطه. فأدركت على الفور ما سـيحل بـالحلوى من جراء فعلته، لكني قررت الصمت وعدم التعليق على الموضوع، وتـرك الامـور تسـير كما هي. ونتيجة لحـرارة جسم الرجـل، ذابت القطع الثلاث، وامـتزجت معـاً في قطعة واحـدة. ولم تمض أكـثر من سـاعة واحـدة، حـتى جـاءني اسـتاد بـاقر، ليقول لي: (لقد ذابت حلوى جناب أزل وامتزجت ببعضها. فما عساي أن أفعل؟).

قلت له: ان جنابه، لايهتم بمثل هذه الامور. فدعنا نقتسـمها ونأكلهـا، أنا وأنت وأخوك.

وهكذا فعلنا.

بعد ساعة، أرسل أزل في طلب الحلوى. فذهب استاد باقر اليه، وهو يرتجف داخل حذائه الواسع، وقال لـه: (ياسـيدي.. ان الحلـوى قد ذابت وامـتزجت ببعضـها، وخجلت من تقديمها لك بذلك الشكل. لذلك أكلناها، أنا وأخي واستاد محمد علي).

وهنا، انفجر أزل غاضباً، وراح يـوبخ الرجل بشـدة، ويصـرخ في وجهه ويـردد: (أنتم لستم سـوى خونة ولصـوص؟ ولا تؤمنـوا بالبـاب حقيقـة). واسـتمر على هـذا الحـال، يدمـدم ويتـذمر وينعى حلـواه، لفـترة طويلة خلال محطـات الطريق الـتي مررنا بها لاحقاً.

وحدث ان شرّف حضرة بهاء الله، الحمّام العمومي في مدينة خربوط، وكـان أزل في صحبته. فأمرني حضرته بوضع الحناء له، والـذهاب للأعتنـاء بأخيـه. ففعلت كما أمرت، وذهبت لخدمة أزل. وأثناء ذلك، طلب مني أزل، حلاقة شعر رأس ابنه ذى الأثني عشر عاماً(24). فرفضت القيـام بـذلك، وقلت لـه: سـأذهب الى حضـرة بهاء الله، أسأله. فان وافق فعلت.

ذهبت وتركته يفور في غضبه. أما اجابة حضرة بهاء الله، فكانت: (لا.. لا تحلق رأس الصبي). ولاختصار القصـة، عـدت لتكملة خدمة أزل والانتهـاء منـه. ولم أحلق شعر رأس ولده.

ثم وصل الى الحمّام، الغصن الأطهر (أقا مهدي)، ابن حضرة بهاء الله، وكان في الرابعة أو الخامسة عشر من عمره، وبدخوله، نسيت كل شـيء، فهو شـقيق حضرة عبد البهاء حقا، وكان في غاية التواضع. كما وصل أيضاً، ميرزا محمد علي، وأقاي كليم، وميرزا محمد قلي، ومجد الدين.

التفت الي جناب الغصن الأطهر، وخاطبني بقوله: (ان هذه الرحلة، علّمتنا الشيء الكثير. فقد أدرك أزل أخيراً، أن الجميع ليسوا خدماً له كما اعتقد).

وصلنا ميناء سامسون، الواقع على ضفاف البحر الأسود. فأخذ ثلاثة مناء مهمة الاعتناء بالحيوانات الخاصة بالعائلة المباركة، وهم: درويش صادق علي، المعروف بـ (وردة المولى)، ولقد ورد ذكره في الألواح كثيراً، والثاني أقا سيد حسين كاشاني، والثالث الحاج إبراهيم كاشاني.

وتصادف ايضا، وجود أحد ضباط الشرطة في المدينة لتأدية بعض المهام، فحضر لتقديم نفسه الى حضرة بهاء الله بكل احترام0

مكث حضرة بهاء الله، في مدينة سامسون بضعة أيام، انتظرنا خلالها وصول السفينة التي ستقلنا الى استنبول. وفي هذه المدينة، انزل حضرته لوح الهودج(25)، كما أنهى عمل المسؤولين عن القافلة، وأتاهم أجورهم المجزية مع هدايا قيّمة. لكن الخيول الخاصة بالعائلة المباركة، بقيت معنا، ومعها حصان خاص بوالي بغداد، أرسله الى استنبول. ولقد شحنت جميعها على ظهر المركب.

* * *

في استنبول

أبحرنا من ميناء سامسون الى استنبول. وبوصولنا الى مينائها، أخليت أمتعتنا من ظهر السفينة، وبقيت أنا مع الخيل على المركب.

تقدم حضرة بهاء الله الى دار الاستراحة الحكومي في استنبول، وكانت تحت اشراف رجل يدعى شمسي بك. فاتخذ حضرته الطابق العلوي مسكنا له ولعائلته، بينما سكن بقيتنا في الغرف السفلية، ومن ضمنها، غرفة كبيرة واسعة ذات موقع جيد، بقي يزورها حضرة المولى كل يوم، كما كان يتردد عليها أيضاً كل من سيد محمد اصفهاني والحاج ميرزا أحمد كاشاني وميرزا أقا منير كاشاني. واتخذ أزل قسما خاصاً من الطابق العلوي مسكنا له. لكنه بقي ينزل كل صباح، ليمكث حتى وقت الغداء ثم يصعد لتناول طعامه وينزل مرة أخرى. وبقي يسكن الطابق العلوي أحياناً والسفلي أحياناً أخرى، حتى لا يكتشف الناس حقيقة شخصيته من ناحية، وأن لا يعتقدوا بأنه أحد خدّام الجمال المبارك من ناحية أخرى.

حدث ان وصل الى الحضور المبارك، خلال رحلتنا في نقطة تدعى معدن نقرة، نبيل زرندي(26)، وبصحبته رجلان، الأول يدعى أحمد والثاني حسين، وهما من كاشان، جاءا معه من بغداد. ومع ان حضرة بهاء الله، أرسل اليه محمد عسكر، ليثنيه عن سفره ويخبره باستحالة مرافقة حضرته بدون اذنه. الا انه ترك بغداد، ولحق بنا في هذا المكان. وبوصوله اعاد حضرة بهاء الله عليه نفس النصيحة مرة اخرى. لكنه بقي على رأيه، وسافر معنا الى استنبول.

أما بالنسبة لصاحبيه، فقد صرف أحمد، بينما جاء حسين معنا الى استنبول ومنها الى أدرنه. ذات يوم، وفي غرفة من غرف الطابق السفلي، حرّض الشيطان سيد محمد اصفهاني(27) بين الحاج ميرزا أحمد وميرزا أقا، فتشاجرا وتضاربا بالأيدي. فذهب ميرزا أقا جان الى حضرة بهاء الله، يطلعه على ما حدث، ثم عاد بنصيحة مفصّلة الى ميرزا أقا، الذي لم يقتنع وبقي على عناده. فصُرِف بعد عدة أيام. الا انه أبدى ندمه لاحقاً، ثم توفي في مدينة أزمير.

عشنا في الخان حوالي خمسة عشر يوماً، استأجرنا بعدها بيتاً فخماً أثثته الحكومة العثمانية بكل ما اقترحه عليها شمسي بك من أثاث فاخر. وبقي الناس، يحضرون لزيارة حضرة بهاء الله في استنبول للتحدث اليه. بينما لم يزر حضرته أحداً، وأخبر أخاه أقاي كليم بتعليماته: (لن أذهب لزيارة أحد. أذهب أنت حيث تشاء). وهكذا، قام أقاي كليم، بزيارة بيوت بعض من مسؤولي الدولة الذين اعتقد أنها مناسبة لزيارته.

في استنبول، كان حضرة بهاء الله، يذهب وقت ظهر كل يوم، الى جامع السلطان محمد لتأدية فريضة الصلاة ولتلاوة الأدعية. كما بقي يتردد على الحمام العمومي كل اسبوع تقريباً، حيث أكون برفقته أحيانا، هذا بالاضافة الى زيارته لجامع آخر يدعى جامع الخرقة الشريفة.

* * *

لم يغير أزل شيئاً من عادة تخفّيه، رغم تشرّفه المستمر بالمحضر المبارك، وبقي شمسي بك، يجهل أخوّة أزل لحضرة بهاء الله، لإدعائه الدائم، أنه أحد مريدي درويش ميرزا علي خان الخراساني. وذات يوم جاء أزل - على غير عادته - الى حضرة بهاء الله، بخبر يقول: (تتردد اشاعة عن رحيلك الى أدرنه).

تأكدنا من صحة الخبر، بمجيء شمسي بك، في زيارة رسمية لحضرة بهاء الله، ليعلن نيابة عن الحكومة العثمانية، الفرمان التالي: (لقد صدر أمر سفرك الى أدرنه). فأجابه حضرة بهاء الله بشكل قاطع: (نرفض ذلك).

بعد مغادرة شمسي بك، خرج حضرته، وخاطب الأصحاب متفضلاً: (تأكدوا00 لن يحدث مكروه). ثم ابتسم وأضاف: (وعلى كل حال، لاضير ان قدّمت لهم اثنين أو ثلاثاً منكم ليقتلوهم). تفضل ذلك وغادر المكان.

جلس في قسم البيت الخارجي، كل من أزل وسيد محمد والحاج ميرزا أحمد كاشاني، يتدبرون أمرهم بينهم، بقصد الموافقة على الرحيل. ومما قاله أزل: (ان شئتم عبور نهر، فأيهما أفضل لكم، ابتلال كل متاعكم أم نصفه؟) فردا عليه: نصفه.

وعندما نقلنا لحضرته ما قاله أزل، تفضل: (مازلت متمسكاً بقراري).

بعدها، حضر ميرزا صفا الخراساني، وقال من جملة ما قاله: (حسب أوامر الحكومة، عليكم بالرحيل الى أدرنه. لايمكن لأحد عصيان فرمانات الحكومة). فأجابه حضرة بهاء الله: (هل تحاول اخافتي من هذه الحكومة؟ لو وقف في وجهي كل سكان الأرض بسيوف مسلولة، فلن يخيفني أحد)(28).

أما أزل فبقي يردد: (سيسحقون أولادنا وزوجاتنا ! سوف يقتلوننا ! علينا بالرحيل).

فأجابه حضرة بهاء الله: (لن يكون هنالك فارق كبير ان قتلنا. أما بالنسبة لعوائلنا فنستطيع تدبير أمرهم بطريقة لا يصبهم بها مكروه. ولا يوجد شيء أفضل من قتلنا بأيديهم في سبيل الله!)، ثم أضاف بشكل قاطع: (لن نذهب).

بقي أزل وسيد محمد والحاج ميرزا أحمد، وزوجاتهم وأولادهم يرددون (سنذهب).

وعاد رجال الحكومة، مرة ثانية، لمقابلة حضرة بهاء الله، للاستفسار عن رده. الا انهم حصلوا على نفس الجواب، وتفضل: (ما زلت على قراري، لا أهمية لموافقة البعض على الرحيل. ان قراري ما زال كما هو).

بعد فترة.. صرّح حضرة بهاء الله، بنبرة واضحة الحزن والأسى، وتفضل: (ان هذا الشخص "أزل" يعارضنا، ولولاه لذاع صيت الأمر المبارك وانتشر بعيداً. وهذا لن يتحقق الان). وفي مقام آخر، تفضل بحزن شديد: (لولا اعتراض أزل في استنبول، لذاع صيت أمر الله بشكل رائع. ولو قتلنا، لانتشر الأمر المبارك شرقاً وغرباً. رغم أنه لم ولن يحدث هذا. مع ذلك سينتشر الأمر رغم كل الظروف)

أخيراً.. أصدر حضرته أمره بالاستعداد للرحيل الى أدرنة، نزولاً لتضرع وبكاء وتوسل بعض أتباعه. وقام ميرزا موسى، بزيارة من شاء من الاصدقاء والمعارف لتوديعهم. ثم استأجر عربات تجرها الثيران لنقل الأمتعة. وامتطى حضرة المولى حصاناً، بينما ركب ميرزا يحيى حماراً. وخلال الطريق لم يحدث شيء يذكر، سوى ترديد حضرة بهاء الله لجملة واحدة: (لماذا جئنا؟)(29).

وكما أذكر، فان لوح (لك الحمد يا هو يا من هو هو...) قد نزل في هذه المدينة.

في أدرنه

وصلنا أدرنه، في الثاني عشر من ديسمبر 1863م، واختار حضرة بهاء الله، أحد الخانات لسكناه. وكان برفقتنا من استنبول، ضابط تركي مخلص طيب القلب(30)، برتبة نقيب (يوزباشي) ومعه عدد من الجنود. بعدما شاهد هذا الضابط، مظاهر العظمة والكبرياء، على حضرة بهاء الله، تقدّم اليه بالتماس أعرب فيه عن رغبته في ترقية وظيفية لنفسه الى رتبة رائد (بن باشي). وحدث بعد عودته الى استنبول، ان وجد الترقية في انتظاره.

استأجر هذا الضابط، بيتاً خاصاً لحضرة بهاء الله(31)، وآخر للأصحاب، يحوي اسطبلاً، جمعت فيه خيولنا، وبيتاً ثالثاً، خصص لميرزا موسى، يحوي حماماً كبيراً، جُهزَ على الفور للاستعمال، وذلك، لأن موعد وصولنا، كان في بداية موسم شتاء قارسٍ جداً، حتى ان مياه جميع جداول المدينة كانت متجمدة. هذا بالاضافة، الى انه لم يكن بيننا، من يملك ملابسا شتوية ثقيلة تناسب ذلك المناخ، ولا حتى حضرة بهاء الله نفسه. فقد قدمنا من بلاد عربية حارة.

أما بالنسبة للحمام الموجود في بيت ميرزا موسى، فقد اعتاد أزل أن يكون أول المستحمين فيه. ذات يوم، دخلت الحمّام ورأيته وقد غطى الشعر الكثيف جسمه لدرجة بدى معها كقطعة شعر واحدة من قمة رأسه حتى أخمص قدميه. وبانتهائه من حمّامه، وقيامي على خدمته. دخل حضرة بهاء الله وتفضل: (احلق كتفيه فهما كتّا الشعر). فتقدمت لتنفيذ الأمر، الا ان أزل، غطى كتفيه بكلتا يديه، وقال: (لا تفعل). عندها تفضل حضرة بهاء الله: (دعه وشأنه فهذا غير مهم). في هذا البيت، مكث حضرته طوال فصل الشتاء، وذات يوم، وبعد حلول فصل

الربيع، شرّف حضرة بهاء الله، بيت الأصحاب وشملنا بعنايته وعطفه. وصادف أن حَطَّ عصفور صغير على غصن شجرة قريبة من بيتنا وراح يغني، فنظر اليه حضرته، وتفضل: (لايبدو تغريده جيداً.. من الأفضل اعطاؤة بعض الطعام).

عاش في هذا البيت، كل من السيد محمد والحاج أحمد كاشاني وأنا وبقية الأصحاب، وأحتل كل واحد منا، غرفة خاصة به في الطابق العلوي. كما اعتاد حضرة المولى الحضور ظهيرة كل يوم للقائنا ومجالستنا. وذات يوم، شرفنا حضرة عبد البهاء، وأخبرنا، أن حضرة الجمال المبارك، أمر بالبحث عن مسكن آخر يضمنا جميعاً. فبحث الأصحاب كثيراً، حتى وجدوا واحداً، يقع مقابل مسجد السلطان سليم، وفيه اربعون غرفة داخلية وخارجية، ودعي هذا المنزل، فيما بعد بإسم بيت (أمر الله). وفيه أنزل حضرة بهاء الله (لوح الأمر) أرسله الى ميرزا يحيى بيد أقا جان، وفيه يدعوه للايمان به. وحالما شاهد أزل اللوح، إعترض عليه، وقال لأقا جان: (انه مكتوب باللغة العربية)(32).

سكن أزل بيتاً منفرداً، يبعد بضع خطوات عن بيت (أمر الله) الذي ضم، حضرة بهاء الله، وجميع الأغصان (أولاد حضرته)، وميرزا محمد قلي (أخاه)، وحضرة الحرم (زوجته آسيا خانم "نواب"). بالاضافة الى بقية الاصحاب جميعا، بينما وقع منزل ميرزا موسى منفردا في الجهة المقابلة.

أما السيدان، محمد اصفهاني والحاج ميرزا أحمد، فخصصت لهما غرفة، إعتاد حضرة المولى، تناول طعام الغداء والعشاء معهما. ولم يكن يدخل حضرته، قسم البيت الداخلي، الا عند النوم فقط.

* * *

مؤامرات ناقضي العهد

غالبا ما يرتاد أزل، الحمّام الملحق ببيت أمر الله. ولم يكن لدى الأصحاب أدنى فكرة بخصوص تمرده ونقضه للعهد والميثاق في تلك الفترة (خلال السنة الثالثة لوصولنا أدرنه، 1866م)، الا انه، بدا خاملاً وفاتراً بعض الشيء. وخلال زياراته للحّمام، كان يدخل معي في نقاشات، حول مواضيع مختلفة، ويحاول بطريقته الخاصة، اجتذابي لصفّه. لكنني تظاهرت بعدم ادراك ما يرمي اليه. وفي هذه الأثناء، بدأ يتعاون معه، كلٌ من سيّد محمد والحاج أحمد. وبقي سيّد محمد، يذهب الى مسجد السلطان سليم كل يوم، حيث يعمل على تأليف كتاب اسمه (ملخص البيان). بينما انشغل حضرة المولى والحاج أحمد وأقا رضا قناد (الشكرجي) وأقا ميرزا محمود، باستنساخ الألواح المباركة وتوزيعها.

ذهب سيّد محمد - وكان عمره آنذاك ستين عاما - الى تكية مولوى، وعرض على القائم عليها، قدرته على شرح قصائد مثنوي - وكان يقرأ له طوال الوقت - ووعده كذلك، بشرح قصائد جلال الدين الرومي (ستة مجلدات من الاشعار الصوفية). وهكذا، تعرّف سيّد محمد على الرجل، وراح يحاوره بطريقة مبطنة شيئاً فشيئاً.

سألني سيّد محمد، ذات مرة، عن معنى بعض الأبيات الشعرية، فأجبته مستشهداً بأبيات من شعر الرومي. فأعجبه جوابي، وذهب الى ميرزا موسى، يمتدح قدراتي العقلية.

ذات مرة، قلت في مجلس ضم حضرة المولى: من المؤكد أن نبيل زرندي يقوم بأشياء غريبة، فلقد علّق على قول سيّد محمد، ذات مرة، قائلا: (انه يتكلم كملحد..).

أغضبت ملاحظتي سيّد محمد، الا انه لم يعلق بشيء، خوفاً من حضرة المولى. وفي صباح اليوم التالي، صادفني وهو في طريقه لإعطاء دروسه، وقال لي: (يا استاذ محمد علي.. نحن من مدينة واحدة، وأنا أمتدحك وأثني عليك أينما ذهبت، وذكر أمثلة على ذلك. والأن.. قل لي: ماذا قصدت من كلامك ليلة امس؟ وكيف ذكرت، انني وحسب ما قاله نبيل، قد قلت كذا وكذا؟).

حركت كتفي استهجاناً، وقلت: أنى لي ان أعلم؟

قال: كان عليك ان تهمس ما ذكرته في اذني.

قلت: لسنا هنا في محكمة حسين كرد للصوص(33) حيث يفعل كل منّا ما يشاء. عند هذا انتهى الموضوع، وذهب كل منّا الى عمله.

واظب سيد محمد، على الذهاب الى تكية مولوي، لاعطاء دروسه. وكان ميرزا موسى يأتي لزيارته في مسكنه، حيث يدخن نارجيلته ثم يعود. وذات يوم، شهدت وبحضور حضرة المولى، نقاشا بين سيّد محمد و الحاج أحمد. فاستشهد سيّد محمد - خلال حديثه - بعربة مرّت بالصدفة من تحت شباك البيت، وقال: (كان "ذكر الله" حضرة الباب، مثل هذه العربة.. مثلما جاء.. مثلما ذهب).

غضب ميرزا موسى بشدة، عند سماعه هذا، وقال، قبل أن ينهض ويترك المكان: (إستحِ يا هذا.. وتذكّر، أن هذا المكان، يقع خلف بيت حضرة بهاء الله مباشرة).

بقي سيّد محمد يغلي غضباً، ثم حمل نفسه، وذهب ليكمل نقاشه مع ميرزا موسى، وليدافع عن رأيه أمامه، ومما قاله أيضا: لقد أخجلتني. فزاد ذلك من غضب ميرزا موسى. وخلال النقاش، وجد سيّد محمد، فرصة ليشكوني عنده، فقال: (ان أستاد محمد علي، قد قال عني كذا كذا). فأجابه ميرزا موسى: (أليس هذا هو نفس الرجل الذي اعتدت تمجيده بشغف؟! فماذا حصل لتنقلب ضده؟).

لم تمض هذه الحادثة، دون نقلها بكاملها الى حضرة بهاء الله.

بعد بضعة ايام، تركنا سيّد محمد، وعاد غاضباً الى تكية مولوي، ليسكن هنالك. فارسل ميرزا أقا جان، في طلب رجل يدعى ابراهيم - كان قد عمل خادماً لدى حضرة بهاء الله، ونقض العهد، لكنه ما زال يدعي الايمان - وسلّمه مبلغا من المال ورزمة من الملابس، ليأخذها الى سيّد محمد. لكن الأخير، كتب بعد يومين، رسالة الى والدة الغصن الأكبر(ميرزا محمد علي) يقول فيها، أنه موجود في التكية، وهو جائع جداً، لدرجة أنه يأكل أوراق الشجر. لقد حدث ذلك، قبل ثلاثة أيام، من ارسال كمية أخرى من الملابس والمال له. هذا بالاضافة الى ما كان يستلمه كأتعاب من تلميذ التكية.

* * *

كان اليوم التالي، موعد ذهاب حضرة بهاء الله للحمـاّم. فسـبقته اليـه، الا أن أزل جاء أولا. والحقيقة، بقيت محاولاته لاجتذابي الى جانبـه، مبطنة وغـير صـريحة، حـتى تلك اللحظـة. وبينما كنت أقـوم على خدمته بوضع الحنـاء على رأسـه، راح يتكلم ويقـــول: (رأيت ليلة أمس حلمـــاً00 رأيت شخصـــاً يمسك بمكنسة وينظف المكان حولي). قال ذلك، وهو يحاول الايحاء لي، بأن هذا الرجل، هو حضرة بهـاء

الله. وهكذا.. أدركت أن هذا الحقير، يحـاول اسـتدراجي لتنفيذ عمل معين لـه. لكنه لم يفصح عن شيء آنذاك، بل أكمل استحمامه وذهب.

بعد ذلـك.. دخل حضـرة بهـاء الله الى الحمّـام، وصـادف ان نظـرت اليه من خلال مرآة مثبّتة على الجدار، فتفضل: (أنت عظيم.. وصورتك لا تتناسب مع مــرآة صغيرة)(34).

بعدها.. جلست أفكر وأسـأل نفسـي، عن مغـزى كلام أزل، ومعـنى مشـاهدته حضرة بهـاء الله في المنـام، وهو ينظّف المكـان حولـه. وأدركت بوضـوح، انه يهم بإسـناد مهمة خاصة لي. وأكـثر من ذلـك، راح الحـاج مـيرزا أحمـد، يحـاول بشـدة واصرار، استدراجي وتحويلي الى صف أزل، ولاحظت ان تلك المحـاولات، إشـتدت على الخصوص، في أيام معينة وبصـورة عاجلـة. فسـألته ذات يـوم: (ياحـاج00 أنت تبلّغ الناس عن المظهر الالهي الموعود. فهل يا ترى انك تؤمن به حقاً؟).

أجاب: نعم.

قلت له: تباً لك ولمولاك الذي تعتقد به. وعلى إثر ذلك، نشـبت بيننا مشـادة، نقلها هو الى حضرة بهـاء اللـه، بغـرض الشـكوى، وادعى قـائلاً: (ان اسـتاد محمد علي، لا يؤمن بمن يظهره الله).

في اليوم التالي، جاء ميرزا أقا جان، وجلس وجمعنا حوله، وراح يقرأ، لوحـاً حول وحدانية الله، كما قرأ، لوح أحمد الفارسي النازل باسم الحاج مـيرزا أحمـد(35). وبالمناسبة، كان حضرة الجمـال المبـارك، يـنزل الألـواح باسـتمرار في مدينة أدرنه.

مـرة أخـرى، حـلَّ موعد الاسـتحمام، وجـاء أزل أولا، فغسل رأسه وجسـمه واستعمل الحناء. فجلست الى جواره لمساعدته، بينما راح هو يتكلم ويقـدّم النصح لي، وقصَّ عليَّ، حكاية مــيزرا نعيم، حــاكم مدينة نــيريز، وكيف أضــطهد الاحبــاء وقتلهم، وآذى الأمر المبــارك بشــدة. وراح يثــني على صــفة الاقــدام والشــجاعة ويمتدحها، وقال ان هنالك رجالا شجعانا بـالفطرة، يـبرهنون على ذلك في اللحظة المناسبة. وعاد يكمل قصة ميرزا نعيم، حاكم نيريز، وقال: من بين اطفال مؤمــني نيريز الذين نجوا من الموت، صبيٌ في الحادية او الثانية عشرة من عمره، تسلح بسـكين، وذهب الى الحمـام الـذي يرتـاده الحـاكم. وفي لحظة خـروج الحـاكم من حـوض المـاء، أسـرع الولد اليـه، ليغمد سـكينه في بطنه ويمزقهـا. فـدخل خـدم الحاكم مسرعين، عند سماعهم صراخ سيدهم، يسـتطلعون الخـبر، فشـاهدوا الولد والسكين في يده ملطخة بالدماء، فانهـالوا عليه ضـرباً مبرحـاً، ثم تركـوه وذهبـوا لتفقد حـاكمهم. لكن الصـبي، ورغم كـثرة جراحـه، نهض مـرة أخـرى، وهجم على الحاكم في غفلة من الحاضرين، وأغمد السكين في بطنه مرة ثانية.

بعد أن أكمل أزل حكايته هذه.. عاد يمتدح الشجاعة ومزاياهـا، وقـال: (كم هو جميل أن يكون الرجل شجاعاً.. أنظر الآن.. ماذا يفعلون بأمر الله ! ان كل واحــد، راح يهاجمه ويؤذيه من ناحيـة. لقد نهض الجميع ضـدي ! حـتى أخي ! ولم يبق لي لحظة راحة أو نفس هنـاء !). وهنـا، راح يغيّر من نـبرة صـوته بطريقة تسـتجدي الرحمة والمساعدة، وقال: (أنا.. الوصي.. أنا الضحية المظلومة.. أخي مغتصب ظـالم ! "ليسامحني الله على تكرار نقل جملة أزل هـذه". ثم عـاد مـرة أخـرى، ليمتـدح الشجاعة ويقول: كم جميلة هي الشـجاعة.. وكم هي ضـرورية الآن لانقـاذ أمر الله !)

وبالاجمال.. فان نبرة صوته، وقصة نعيم، وتمجيده الشجاعة، وحثه المستمر لي للانضواء تحت لوائه.. كل ذلك، يعني شيئاً واحداً فقط، (أقتل أخي !).. نعم هذا هو.. (أقتل حضرة الجمال المبارك).

في تلك اللحظة.. وعند تفوهه بتلك الكلمات، أصابني الغثيان الشديد بطريقة لم أشعر بها في حياتي، وشعرت كما لو أن جدران الحمام ستسقط فوق رأسي. فخرجت وجلست على عتبة الباب، وأنا مشوش الفكر غير قادر على الكلام. وقررت وأنا في حالة من الغضب والغليان الشديد، العودة الى الداخل، وقطع رأس هذا الرجل، وليحدث ما يحدث.. لكني عدت لأفكر ثانية، وقلت في نفسي.. ان عملية قتله سهلة جداً. ولكن لنفترض أني أُدِنْتُ بهذا العمل ! فهل يمكنني الوقوف أمام حضرة بهاء الله، في موقف كهذا؟ ورجت أصوّر في ذهني جواب سؤال حضرة بهاء الله: (لماذا قتلته؟). وهنا، تغيّر رأيي وانقلب تصميمي. فقمت من مكاني، ودخلت الحمّام، وتوجهت اليه مباشرة، وقلت له بغضب وحدة شديدين: (أخرج من هنا حالا؛ جعل الله مثواك جهنم !). فقام وتقرب مني، يطلب المساعدة في سكب الماء عليه، ورغم اني فعلت، لكني لم أدرِ هل اغتسل أم لا.. وقام وترك المكان مذعورا. ومنذ ذلك الحين ولحد الآن لم أر وجهه ثانية(36).

بعد هذه الحادثة.0 أصابتني حالة شديدة من الهياج، ولم يستطع شيء تهدئتي. وصادف ان لم يحضر حضرة الجمال المبارك، الى الحمّام في ذلك اليوم، لكن ميرزا موسى حضر، وبمجرد وصوله بادرته بالقول: (لقد أشعل أزل اليوم النار في كياني)، ورويت له ما حدث، فأجابني ناصحاً: (نعم.. ان أزل لديه مثل هذه النوايا منذ عدة سنوات. فلا تعره اهتمامك، انه يحتفظ دوماً بمثل هذه الامور في عقله). ثم تركني وانصرف.

قمت على اثرها، وأغلقت باب الحمّام، وذهبت الى حضرة المولى، وقلت له: (لقد قال أزل اليوم كذا وكذا، وأغضبني بدرجة انني هممت بقتله. لكني لم أفعل ذلك). فأجابني: (بما انك قد اكتشفت ذلك بنفسك، فلا تذكره لأحد، ومن الافضل إبقاؤه سراً). لكني لم أستطع كتمان الخبر، فذهبت وأخبرت ميرزا أقا جان بالقصة، وطلبت منه، نقلها الى حضرة بهاء الله، فذهب وعاد بسرعة، ليخبرني أن حضرته تفضل: (اذهب واخبر أستاد محمد علي، بأن لا يتحدث بذلك في أي مكان).

في نفس تلك الليلة، ذهبت وجمعت كل رسائل وكتابات أزل، وأخذتها الى غرفة الجلوس في منزل حضرة بهاء الله، وأحرقتها كلها في موقد الفحم. لكني أظهرتها وعرضتها على جميع الحاضرين، قبل حرقها، حتى يعلموا انها كتابات أزل وليس احد غيره، وكان يجلس هنالك سبعة أو ثمانية أشخاص، فاعترضوا بشدة لفعلتي، وقالوا: ماذا تفعل؟ لم كل هذا؟ أجبتهم: كنت أعبد بيت أزل حتى هذا اليوم. لكني أيقنت اليوم فقط.. انه أحقر من كلب(37).

لأزل ثلاث زوجات، الأولى من مازندران، واسمها رقية، والثانية من تفريش واسمها بدري جان، والثالثة من شيراز واسمها ملك جان، ومن هذه الأخيرة، ولد أحمد بن أزل(38).

اعتقد كل من ميرزا نصر الله وولده، ورضا قلي التفريشي، شقيق بدري جان زوجة أزل، ان هنالك فائدة مادية ستعم عليهم، ان استطاعوا، تطليق شقيقتهم من أزل، وتزويجها لحضرة عبد البهاء، بعد فترة انفصال محددة.

فحضروا الى أدرنه، وأقنعوا هذه الزوجة بقطع علاقتها مع أزل ومخاصمته. لكن ميرزا نصر الله، توفي خلال تلك الفترة وبقي الثلاثة الآخرون. اما حضرة عبد البهاء، فلم يكن له رغبة في الزواج منها.

* * *

بداية المتاعب

امتلأت ايران بالألواح والآيات خلال هذه الفترة، وكانت تصل الى يد ميرزا حيدر علي(39)، الذي كان يرسلها بدوره الى جواد قزويني في تبريز. ومن ناحية ثانية، فقد أرسل حضرة بهاء الله، ساعة مغادرته استنبول نبيل زرندي، الى خراسان، في مهمة أتمها بنجاح كبير وأحدث حركة واسعة.

وحدث ان قَتَلَ اثنان من البهائيين، وهما مصطفى كاشاني والشيخ أحمد خراساني(40)، رجل دين محترم، بين أهل مدينته، يدعى سيّد اسماعيل، وذلك نتيجة نقاش ديني حاد، انتهى بعداء شديد، حدث بين القتيل وجواد قزويني. فأعتقل جواد مع القاتلين، باعتباره المحرض لهما. وفي النهاية، أعدم الرجلان، جزاء فعلتهما. بينما استطاع جواد شراء حياته وحريته، بالتصرف بألف تومان(41) من أموال حقوق الله(42) التي كانت مودعة لديه، والتي تعود ملكيتها لحضرة بهاء الله.

عاش في تبريز، رجل يدعى الحاج علي عسكر، وكان له بنتان. طلب هذا الرجل من جواد قزويني - وقت سكنه تبريز- رفع التماس الى حضرة بهاء الله، يرجوه برغبته في تزويج ابنته الى حضرة عبد البهاء. ففعل جواد وكتب الالتماس. الا ان الجواب، جاء آمرا بتزويج البنت الى جواد نفسه، وقت هربه من تبريز. فتدبر الأمر فيما بعد، مع احدى السيدات المسنّات، لاحضار البنت الى أدرنه، حيث زفّت اليه. كان للرجل بنتان، تزوجت الاولى من جواد، بينما خدمت الثانية العائلة المباركة، وتوفيت فيما بعد في عكاء، وبقي حضرة عبد البهاء عازفاً عن الزواج. وصل نبيل زرندي الى أدرنه، في هذه الأثناء، بعد تجواله في ايران، بصحبة مشكين قلم وعلي سيّاح (الذي تشرف بمحضر حضرة الأعلى، في جبل ماكوه، وآمن به، وعمل مراسلاً له، وكان يوصل ألواحه ورسائله الى عناوينها بكل الطرق الممكنة)، ومعهم اثنان من الكاشانيين، وشخص آخر من بخارى، يدعى جمشيد، آمن بالامر المبارك في كاشان.

أعلن علي سياح، في العديد من الاماكن التي مرّ بها، انه في طريقه الى أدرنه، للتوفيق بين جناب أزل وحضرة بهاء الله. لكنه، أدرك وبمجرد وصوله وتشرفه بمحضر الجمال المبارك، وتقديمه مراسم الاحترام والتبجيل، حقيقة الموقف، وعلم، أن أزل، لم يكن على الاطلاق كما ظن واعتقد.

بعد فترة، وفي سنة 1866م، انتقل حضرة بهاء الله وعائلته المباركة، الى بيت آخر يدعى (بيت رضا بك). في هذا البيت، منع حضرته، الجميع من التشرف به ولقائه، واعتزل الناس تماما، وأبعد الحاج ميرزا أحمد الى بغداد. كما أبعد كلاً من محمد صادق وأقا محمد حسن وعبد الكريم والشيخ سلمان الذي تصادف وجوده هناك. كما قرر حضرته، ارسالي مع سائس الخيل صادق علي درويش الى استنبول لبيع الخيل. في تلك الفترة، أصبح ميرزا علي سيّاح ومشكين قلم صديقين حميمين، وبما أن الثاني، كان خطاطا ممتازا، وبامكانه تدبير أمر

معيشته، قررا الذهاب الى استنبول، لمزاوله مهنة الخط. الا ان حضرة بهـاء اللـه، وكما اعتقد، لم يرغب في ذهابهما.

وصل الاثنان استنبول، وذهبا لزيارة ميرزا حسـين خـان مشـير الدولة (سـفير ايران في استنبول)، فقابلهما بكثير من الاحترام، وفعل الكثير من اجلهما، وسعى لتحسين معيشتهما، لدرجة انه اشترى لمشـكين قلم كشـكولاً جميلاً، باعتبـاره من أتباع الصوفية سابقاً، وطلب منه الحضور لقراءة رسالة في مدح شـاة ايـران في مجمع للايرانـيين، ففعـل. كما تـدبر له عملا، وهو استنسـاخ وخط كتـاب للشـاعر سـعدي، مقابل ثلاثمائة لـيرة عثمانيـة. فابتـدأ مشـكين العمـل، وكتب جـزءاً من الكتاب.

وذات مرة، اسـتدعاه السـفير في احـدى جلسـاته، فـراح مشـكين، يتكلم عن الامر المبارك، خلال اللقاء، وأخذ يغالي في كلامه، وزعم أن أعدادنا كبيرة، وتقدر بالآلاف في استنبول وحدها، وتساءل ان كان للسفير علم بذلك. فرد عليه السفير بقوله: (احذر يا هذا.. اني أحاول مساعدتك). وفي النهاية، اعتقل الاثنان وطرحا في السجن(43).

اعتقالي وابعادي

ذهبت بالخيل الى اسـتنبول لبيعها وبصـحبتي صـادق علي درويش وأقا محمد باقر محلاتي. فأوقفنا الحرس عند باب المدينة، وسألونا: من أنتم؟ ومن أين جئتم؟ فاعترضت على تصرفهم بشدة. وبعد سؤال وجواب، اقتنعوا بحجتنا. فتركونا وشأننا، ووافقوا على دخولنـا. لكنـني أخطـأت بسـؤالهم عن مشـكين قلم. عنـدها قـال لي الشرطي: تعال معنا، وسنأخذك اليه. فأخـذوا خيولنـا، وأدخلونا سـجن السـلطان. ثم جاءوا في اليوم التالي، لاقتيادنا الى بيت حاكم استنبول حسين حسني باشا.

فسألنا: من أين أنتم؟

قلت: من أدرنه.

قال: ماذا تفعلون هنا؟

قلت: جئنا لتسـليم مشـكين قلم، بعض الخيـول ليبيعهـا. (ولم أكن أعلم، ان مشكين قلم مسجون)0

اكتفى بهـذة الأسـئلة، وأمر باعادتنا للسـجن ثانيـة، حيث احتجزنـا. ولم تمض بضـعة أيـام، حـتى كسـبنا ودَّ السـجانين، وبـدأنا الحـديث معهم، وشـرح ظروفنـا، وأفهمناهم أننا لسنا مجرمين أو لصوصا، وإننا لم نفعل شيئا يخالف القانون.

جلست في زنزانتي، أفكر وأخاطب نفسي، وقلت: (لابد أن يكون حضرة بهـاء الله، واقعا تحت ضيق شديد في أدرنه. ومن المؤكد أن هؤلاء القوم سيستجوبوننا. ومن الضـروري تـرتيب قصة واحـدة نتفق عليهـا، خاصة وأنهم صـادروا مـني ثلاث رزم من الآثار المباركة، ومعها مذكرات أسفاري).

التفتُ الى أصـحابي، وقلت لهم: (علينا الامتنـاع عن ارتكـاب أي عمل يسـبب الأذى للعائلة المباركة. ولا نبالي بما سيحصل لنا، وليحدث ما يحـدث، المهم أن لا نلحق الأذى بمن في أدرنه). فاتفقنا جميعا على ذلك.

أخذنا الحـرس الى بيت الحـاكم ثانيـة، صـباح اليـوم الثـالث أو الرابـع، فـأمر باحضـارنا الى غرفة كبـيرة في الطـابق الثـالث، ووضـعوا كل واحد منّا في ركن منها.

بعد قليل، استدعى الحاكم الى غرفته، أقا محمد باقر باعتباره أكثرنا ذكاء وأكبرنا سناً. تنصتُ باهتمام كبير، لأسمع ما يدور بينهما. فسمعت الحاكم يسأله:

- من أين جئتم؟
- من أدرنه.
- ما هو سبب حضوركم؟
- لقد أمرنا حضرة بهاء الله، نحن الثلاثة باصطحاب خيوله، وتسليمها الى مشكين قلم لبيعها.
- هل تعلم شيئاً عن هذه الكتابات؟
- نعم.
- اذن.. اقرأ لنا شيئا منها؟ (فقرأ أقا محمد باقر، حوالي عشرة أسطر، من دعاء باللغة العربية).
- من صاحب هذه الكتابات؟
- استاد محمد علي. (اتفقنا على هذا الجواب مسبقاً).
- هل لك علاقة قرابة مع بهاء الله؟
- لا.. أنا أحد خدّامه.
- لقد ادعى بهاء الله، أنه المهدي. فما قولك في ذلك؟
- لا.. لم يدّعِ ذلك(44).
- أنت لا تفهم. لقد ادعى.
- لا.. لم يفعل.
- لو ادعى. فما قولك؟
- ليَدَّعِ حضرته ما يشاء، فقد عهدناه صادقا. لكنه لم يَدَّعِ هذا.

انتهت المقابلة، وأعادوه البناء ليأخذوا درويش، باعتباره أكبر سناً مني، وسألوه نفس الأسئلة السابقة. ثم قالوا له:

- لقد ادعى أنه المهدي.
- فأجاب: لا00 لم يفعل.
- فسألوه: ماذا تقول لو فعل؟
- قال: بسبب محبتي له، فكل ما يفعله مولاي حق.

أعادوه واستدعوني. دخلت الغرفة، وشاهدت فيها جماعة من رجال الدين السنّة، جالسين. وكان الحاكم هو الذي يطرح الاسئلة بنفسه، فسألني:

- هل هذه المخطوطات لك؟
- نعم.
- هل تقرأ أو تكتب؟
- لا0
- لماذا تحتفظ بها اذن؟
- استنسخها لي احد الاصدقاء.
- من ألّفها؟ هل هو (يقصد حضرة بهاء الله)، أم انها للباب؟
- لا أدري.
- لقد ادعى أنه المهدي. فما قولك في ذلك؟
- كنت معه لفترة طويلة، ولم أسمعه يدعى هذا الادعاء ولا لمرة واحدة.
- ألم يدع ذلك أبداً؟
- كلا.. كلا.. أبداً.

- إن إدعى.. فما قولك؟
- ... وهنا رغبت في انهاء الحديث، فقاطعته وسألته:
- أيمكن أن تكون يدك، أداة قتل أم لا؟
- نعم بالتأكيد.
- لحد الآن لم تتسبب بقتل أحد. فهل يمكن اصدار حكم عليها؟
- كلا.
- وكذلك حضرته اذا. لم يَدَّعِ لحد الآن مثل هذا الادعاء، فهل يمكن الحكم عليه؟

أغضبه كلامي، فصاح باللغة التركية، أخرجوه من هنا.. أخرجوه من هنا. قلت له: يا سيدي.. هل جئت بنا لتطردنا مرة ثانية؟ لقد أجبنا على أسئلتك، ولا حاجة لغضبك علينا.

سحبنا الى الطابق السفلي، ومنه نقل كل واحد منّا الى سجن منفرد. وكان نصيبي أنا سجن رديء مرعب لا يحتوي على حمّام، تكدس فيه اللصوص والنصابون، وكان عددهم سبعة عشر أو ثمانية عشر، واضطررت للنوم فيه وقوفاً.

لم يعد أحدنا يعلم بمكان صاحبيه، اذ ارسلوا درويش الى سجن آخر، وأخذوا محمد باقر، الى بناية الشرطة، وهناك أصيب بالدوسنطاريا، لذلك امروا بنقله الى مصحة السجن مع ميرزا علي ومشكين قلم. وبمجرد ان شاهد الأخير، محمد باقر، طالب المسؤولين، بنقلنا معه أيضا، ففعلوا وأحضروني مع درويش. لكن مشكين قلم، بقي يشكو ويتذمر، لعدم استطاعته ممارسة مهنة الخط والكتابة، وبقي يطالب بعلبة أقلام ولوازم خط، والسماح له بممارسة عمله. في النهاية، جاؤوه بما يريد، وبدأ الخط والكتابة. ورغم ان الطعام كان متوفرا داخل السجن، الا ان البراغيث جعلت من النوم شيئاً مستحيلا. وبقينا منقطعين عن العالم الخارجي وأخباره.

أما رئيس السجن، فكان رجلا طيباً، وحسب علمي، كان لديه ابن أخ برتبة ضابط، أحضره الى مشكين قلم وسيّاح، ليعلّماه الخط، لعدة ساعات يوميا.

جاء بعد أيام، ضابط شرطة يدعى أقا بك، يبحث عن مشكين قلم، ليسأله عن أسعار خيوله، فأجابه: (ان هذه الخيول أصيلة وليست كما تدعي، ان كل واحد منها يساوي مائة ليرة). بعد مدة، تعرّف مشكين قلم، على شخص يهودي، يتردد على سجين انكليزي، متهم بتزوير العملة، وكان هذا الشخص حراً في الدخول والخروج، من والى السجن متى شاء.

فناداه مشكين قلم، وقال له: (لدينا عدد من الخيول، ونبحث عن شخص، يستطيع تقديمها كهدية للسلطان أيام العيد، وسنقتسم معه ما يقدمه لنا. نحن نأخذ ثمن الخيول، وهو يأخذ الباقي. خرج اليهودي، وعاد بعد فترة، بصحبة شخص آخر، ادعى أنه سائس خيول، يمكنه العناية بخيولنا. فوافق مشكين على تسليمه الخيول، بعد أن قدّر ثمناً جيداً لها، ووعد بتقديمها الى السلطان في اليوم المحدد. لكنه، نسي نقطة صغيرة مهمة، وهي التفاهم المسبق مع مسؤول خيول السلطان، لاقناعه بجودتها وأصالة نوعيتها.

حل الموعد المحدد، وأقتيدت الخيول الى السلطان، فنظر اليها، وسأل موظفه عن أصالتها، فأجابه بأنها رديئة. عندها رفضها السلطان. فعاد الرجل الينا،

وأخبرنا ان السلطان لم يستحسنها، وطلب باسترجاع ما أنفقه عليها. فوعده مشكين قلم، بالدفع لاحقا، وطلب منه الانصراف في الوقت الحاضر.

باختصار، أمضينا شهرين داخل السجن، وكان من جملة السجناء معنا.. جمشيد، خادم مشكين قلم. وفيما عدايَ ومحمد باقر وجمشيد، قررت السلطات نفي جميع بقية المؤمنين الى جزيرة قبرص. فأخذوهم لتسفيرهم، الا انهم، أعادوهم ثانية في نفس اليوم، لعدم إبحار السفينة، ثم أرسلوا في طلبهم اليوم التالي. واخذوا عبد الغفار من زنزانة مشكين قلم، وأرسلوه الى غاليبولي، لكي يبعدوه من هناك الى عكاء أو قبرص.

جاء دوري وجمشيد، فأخذوني لمقابلة الحاكم حسين حسني باشا. فأصدر أمره، بنفينا معاً الى ايران. وعلى الفور، أخذونا الى سفينة راسية في الميناء، مع فرمان يوضح بأننا ايرانيون بابيون، وكانوا يقرأون الفرمان، للناس بصوت عال، في كل محطة توقفنا بها.

وعندما وصلنا طرابزون، احتجزنا في السجن مرة ثانية، ثم ارسلونا مخفورين مع شرطيين. ولحسن الحظ، وجدنا عربة بعجلتين في المحطة التالية متوجهة الى ارضروم، وهناك سجنا ايضا لمدة ستة عشر يوما. ومنذ ترجلنا من السفينة، وجب علينا اكمال بقية الرحلة مشياً على الاقدام.

ان يكون المرء سجينا في مثل هذه الظروف، لهو العذاب الذي لا يطاق. ورغم تصفيدنا مع بقية السجناء في سلسلة واحدة، كنت احمل لحاف صديقي الثقيل، بدلا عنه، طوال مدة السفر. وحدث ذات مرة، ونحن على سفح جبل، ان تدحرج صاحبي جمشيد لمسافة طويلة، فغضب غضباً شديداً، وأخذ عصاه، وراح يضرب بها رأسه لنفاذ صبره، وكان يمشي خلفي والشرطي يمشي أمامي، فالتفت اليه، وقلت له: يا أخي.. لماذا تفعل ذلك؟

أجاب: ما هي جريرتي، ليعاملني الله بهذه الطريقة؟ أنظر الى حالتي هذه !

فأجبته ممازحا، وأنا أحاول تهدئته، ناظرا الى ضخامة جثته وخشونة ملامحه وعِظَمِ شاربه: لقد خصَّك الله بهذه الشوارب التي لا مثيل لها على الأرض. وبمجرد سماعه قولي، انفجر ضاحكا. وهذا ما قوّى من عزيمته وروحانيته.

وصلنا ايران بعد أرضروم، وكان البرد قارسا، وبما اننا كنّا نسير مقيدين على شكل رتل، لهذا لزم علينا التحرك والتوقف سوية وخوض جداول الماء معا. والحقيقة، كنّا في غاية التعاسة خلال الرحلة. بعد أرضروم وصلنا الى قزل ديزي، فجاء القنصل الايراني للقائنا. وشاهدنا قوات عثمانية مرسلة لمقاتلة ايران كما فهمنا. وكانت العلاقات الايرانية العثمانية متوترة، واحتمال نشوب حرب بينهما أمر وارد. بعدها أخذونا الى قصر رائع يخلب الالباب، يستخدمه موظفو الحكومة، مشيّد من الرخام الابيض، ومزين بالنقوش الجميلة، فحبسونا فيه أربعة ايام، رحلنا بعدها الى ايران، ودخلنا منطقة تدعى أفجة في جبهة اذربيجان، وكان يسير معنا احد اللصوص الايرانيين، رافقنا من ارضروم. وهنا نقلوا مسؤولية اعتقالنا الى ابن علي خان، من (ماكوه)، وكانت لديه مجموعة مقاتلين من جماعته، تدعمهم الحكومة الايرانية، مجهزة ومتمركزة في هذه المنطقة، للدفاع عنها في حالة نشوب الحرب. حلَّ الليل، وأرادوا احتجازي في أحد السجون، فلم يجدوا غير بئر جاف أنزلوني فيها، فبقيت أصرخ وأنادي طوال الليل: (لاتتركوني في هذا البئر، أنا لست نبي الله يوسف). فأخرجوني صباح اليوم التالي.

كانت معي ليرة واحدة، هي كل ثروتي في هذه الدنيا، أخفيتها بين طيات ثيابي. في هذه المنطقة، بعت قبعتي وحذائي، واشتريت بكل ما معي، بعض القماش الاذربيجاني المصنوع من وبر الجمال.

تحركنا نحو ايران، ودخلنا أفجة، فلم نجد قافلة مستعدة للرحيل في ذلك الوقت. لذا اقتادونا الى المقر الصيفي لحسين خان، حيث كان يعيش في حالة من العظمة والابهة. فأخذونا اليه، وقدّموه لنا بغاية الاحترام. وحال رؤيتنا، راح يحلف بأغلظ الايمان، ويلعن جنود المير علي خان - وبتدبير وعناية غيبية الهية - أخذ أوراقنا بيده، وبدون قراءتها أو النظر اليها، مزقها ورمى بها بعيدا. ففرحت لمشاهدتي أوراقي تمزق بهذا الشكل، وتضيع معها تهمتي وحقيقة شخصيتي. لقد مزّق حتى اوراق اللص الذي بصحبتنا. والحقيقة، كنت أتوقع نوعا من الاستجواب من (حسين خان)، لذلك التفت الى أقا جمشيد - وهو رجل صادق وصريح وتقي، الا انه كثير الكلام - وقلت له: يا أقا جمشيد.. أطلب منك شيئا واحدا فقط، أرجو ان تنفذه.

قال: تفضل.

قلت: أتوسل اليك.. وأستحلفك بحياة حضرة الباب، أن تترك الحديث لي عند استجوابنا، وتصمت ولا تقل شيئا.

فرد علي بقوله: حسنا.. ما دمت قد استحلفتني بهذه الطريقة، فلن أفتح فمي.

عندما قابلنا حسين خان، سألنا:

- من أين أنتم؟
- من استنبول.
- ولماذا ذهبتم الى هناك؟
- سمعنا بوجود مال كثير، فذهبنا لجمع بعضه. لكنه وبمجرد وصولنا، تصادف وصول ابن قيصر روسيا في زيارة الى استنبول. فقامت السلطات بمسح وتمشيط شوارع المدينة من المشتبه بهم. ولحداثة عهدنا وجهلنا بشوارعها ولعدم حملنا فانوساً ونحن في طريق عودتنا الى البيت. ألقت الشرطة القبض علينا، ووضعتنا على ظهر سفينة، وأبعدونا الى ايران.

قال حسين خان، وهو يشير نحوي: انه يقول الحقيقة. سأطلق سراحكم. لكن لا تحاولوا العودة الى استنبول ثانية.

قلت: يا سيدي.. ولماذا نعود اليها ولم نلق فيها ما يجذبنا لها ثانية؟

قال: يمكنكم الانصراف الآن.

فقلت: ياسيدي.. أنا لا اريد الذهاب.

فسألني عن السبب.

قلت: لأني ضيفك. ولا املك شيئا.

فقال يخاطب أتباعه، أعطوه شيئا من الطعام وحماراً لأجل رحلته. وفي يوم الرحيل، نصحنا بقوله: ان سلكتم هذه الطريق، فسيسطوا عليكم قطاع الطرق، ويسلبوكم كل شيء، انها طريق خطرة غير آمنة. ثم التفت الى رجلين من اتباعه، وأمرهم بايصالنا بأمان الى المحطة التالية. وأعطى خادمه الخاص حصاناً لمصاحبتنا. وقال لنا: أخبروني ان فقدتم شيئا، من هنا الى وادي خوي، وسوف أجعلهم يدفعون لكم بدلا عنه أضعافا.

لم يعر الخــان اهتماما يــذكر لرفيقنا اللص. وقبل تحركنــا، قلت له راجيــا: ياسيدي.. ارجو ان تصفح عن هذا الرجل أيضـا. فـالتفت اليـه، وقـال لـه: (سـأطلق سراحك من أجل جماعتك انت ايضا. اذهب فأنت حر).

وهكذا، اقتادونا بكل بقدير واحترام الى (خوى)، وهناك تركونا لحريتنـا. فـذهبنا الى الحمّام العمومي للاستحمام. وأكلنا وشربنا. وهنا، ودعت رفاقي، وأخبرتهم بأني مغـادر ايـران. أما رفيقي جمشـيد، فقد ذهب الى سـلماز، ومنها توجه الى الارض الأقدس، حيث عاش هناك مدة طويلة، وتوفي قبل صعود حضرة بهاء الله.

* * *

ذهبت الى تـبريز وبقيت فيها يوما واحـدا، ومنها ذهبت الى زنجـان. وبوصـولي اليها، علمت بمقتل سيّد أشرف وأبا بصير. ورافقني الحـاج أقـاي اصـفهاني، وكـان في طريق عودته من بيت الله في عكــاء، وأظهر لي كثــيراً من الاحــترام. كنت أسافر مشـيا على الاقـدام. وبحالة مزرية تعسـة، وصـادفتني خلال الرحلة مشـاكل كثيرة، كما رفضت القافلة انضمامي اليها اعتقادا منهم باني من قطاع الطرق.

ذهبت مع الحــاج ايمــاني زنجـاني، لزيـارة والــدة سـيّد أشـرف في زنجـان، وقدمت لها عظيم الاحترام. وباعتقادي انه لا توجد امــرأة أعظم منها على الأرض. كـانت تبكي بحرقة شـديدة ودمـوع حـرّى، ليس على ولـدها، بل على أبي بصـير، الرجل الذي اعتاد الخروج من بيته كل يوم، لتبليغ أمر الله حتى يوم استشهاده.

اما قصة شهادة أشرف، فهي كالتالي:

كان أشرف يعمل في حديقة منزله، عندما جاؤوا لالقاء القبض عليه واقتيـاده الى دار الحكومة ثم الى السـجن. ولأنه من السـلالة النبوية الشـريفة، وذو سـمعة طيبة جداً، رفض الناس فكرة قتله، ولم يقبلوا بها. فـأمر الحـاكم معتقليـه، بأخـذه الى شيخ الاسلام(45) للتحقيق معه.

شاهد شيخ الاسـلام، أشـرف، يعلن صـراحة، أنه بـابي وانه من أتبـاع حضـرة الباب. ورغبة من شيخ الاسلام، بتغيير رأي سيّد أشرف، بغية انقاذ حياته، استدعى والدته الى السجن، وطلب منها محاولة التأثير عليه، واقناعه بتغيـير رأيـه. فجـاءت الأم الى ولدها، وقالت له: يا ولدي.. ان قتلت في سبيل حضرة بهـاء اللـه، فـأنت ولدي حقا، وان لم تقتل في سبيله، فأنت لست مني.

مرة اخرى، أحضروا سيّد أشرف الى شيخ الاسلام، فكرر محاولة انقـاذ سـيّد أشرف، وقام بوضع عباءته فوقه وأخفـاه، وصـرخ قـائلاً: (ان السـيد أشـرف، ينفي كونه بابياً. ويقول دعوني وشأني واذهبوا لحـال سـبيلكم). ولكن، لم يَـرُقْ لأشـرف، ما سمعه من شيخ الاسلام، فـأخرج رأسه من بين طيـات العبـاءة وصـرخ: (لا.. أنا بهـائي.. أفعلـوا بي ما شـئتم). وحـدث في تلك الاثنـاء، ان ألقي القبض على أبي بصير أيضا. وبأمر من الحـاكم، ضـربت أعناقهما معا في السـاحة العامة في وقت واحد. أمضيت اثنى عشر يوما في بيت أم أشرف، انتـابتني خلالها حمّى شـديدة. ورغم ما ألم بي من مرض، خرجت لالتحق بالقافلة ليلا. فوصلت سـلطانية، ومنها ذهبت الى قزوين، حيث زرت سمندر، وكـان له أخ مضـطرب مهـزوز لدرجـة، لم أرَ في حياتي رجلا مثله، وتوفي بالسم فيما بعد، بطريقة مأسـاوية في اسـتنبول(46). كنت أنوي المضي في سفري نحو اصفهان، ومنها الى الارض الأقـدس. بقيت في قزوين عدة أيام، حيث قدموا لي بعض الدواء، فتماثلت للشفاء.

في ساعة رحيلي، تصادف وصول الحاج أبا الحسن أمين، لتوه من عكاء، فنصحوني بالانتظار للسفر معه. فسافرنا معا الى قم، ومنها الى كاشان ثم أردستان. وهنا يَمَمَ الحاج وجهه شطر يزد.

ذهبت لزيارة فتح علي أردستاني. وكان شخصا رائعاً، لقّبه حضرة بهاء الله بـ (فتح أعظم). ولقد أشار اليه حضرة بهاء الله، بهذا الاسم، خلال رحلة نفيه، من بغداد الى استنبول، وتفضل: (ان فتح أعظم، يصحبنا في رحلتنا هذه). وكان مقصد حضرته من ذلك، انه كان معه في عالم القلوب، رغم وجوده في أردستان.

قابلني الرجل، باحترام كبير، وأخذني الى منزله، وجلسنا نتجاذب أطراف الحديث لمدة طويلة، ثم وصل الحاج محمد اسماعيل الذبيح، فقال فتح أعظم: لا يمكنني استضافته الليلة في بيتي، عليكما بالذهاب الى منزل ميرزا حيدر علي. فذهبنا الى هنالك.

استفسر محمد اسماعيل مني، عن أحوال أخيه ميرزا أحمد كاشاني. فأجبته أن حالته سيئة - وكان ناقضا للعهد آنذاك - فلم يستحسن جوابي.

كان علي الرحيل صباح اليوم التالي، الى اصفهان. واستطعت مغادرة المدينة راكبا، بعد تحسن أحوالي المادية قليلا في قزوين. بوصولي الى اصفهان، علمت أنهم اجبروا زوجتي على الطلاق، والارتباط بزوج آخر، تحت ذريعة اني بابي. كما لم أعرف شيئا عن مصير أولادي.

احترت في أمري، وتساءلت أين أولي وجهي. فقررت الذهاب الى بيت صديق يدعى عبد الصالح - كان ساعتها في الارض الأقدس - أما والدته، فكانت نسخة ثانية عن أم أشرف. لم يزل الظلام مخيما، عندما طرقت باب احد البيوت، ظنّا مني انه بيت محمد كاظم، زوج أخت عبد الصالح الخياط، فخرج لي شخص، قلت له: ليجلب محمد كاظم، عباءتي، أنا في طريقي الى القرية. أجابني: هذا ليس بيته. ان بيته هناك. فذهبت ووجدت سيّد تخته خناس(47) نائما عند الباب، فاستيقظ، وعرفني، وراح يسألني عن أحوالي وأخباري، فأجبته على استفساراته، الا اني لم أطلعه على أخبار أدرنه.

بعد مضي ليلتين، علم سلطان الشهداء(48) بوصولي، فدعاني الى بيته مع سيّد مهدي. فقابلته وهو في طريقه الى منزل امام الجمعة، وكان يتصرف مع امام الجمعة، وكأنه وكيله ومستشاره، اذ كان يقوم بزيارته، مرتين صباحاً ومساءً كل يوم، ويدير أعماله نيابة عنه، فهو من كبار التجار الاغنياء المحترمين. ألقيت عليه السلام، وكان بمعيته حوالي خمسة عشر رجلا، فأجابني بالمثل، وحاول التوقف للتحدث معي، لكني ودعته بسرعة، ومضيت في سبيلي. واظهر لي مرافقوه احتراما كبيرا، بعد أن لاحظوا نوع علاقتنا وقوتها. عندما وصلت منزله، وجدت مجموعة من الاحباء هناك، فألقيت التحية عليهم، واتخذت لي مجلسا بينهم. ولم يمض وقت طويل، حتى عاد سلطان الشهداء وأخوه محبوب الشهداء الى بيتهما، فهما يعيشان معا.

أمضيت تلك الليلة وطوال اليوم التالي عندهم، ثم ذهبت الى منزل عبد الصالح، وعلمت أنه غادر الى عكاء، فقررت السفر فوراً. لكن الأحباء نصحوني بالانتظار والتريث قليلا، فوافقتهم على رأيهم. عندها، طلب مني سلطان الشهداء، التوجه الى أردستان، لجلب مال خاص به، فذهبت وبقيت أربعة أيام، سلمت خلالها رسالة الى فتح أعظم، وأنجزت لسلطان الشهداء بعض الاعمال. عدت بعدها الى اصفهان، وتوجهت الى بيت عبد الصالح، فطلبني سلطان الشهداء مرة

أخرى، وسعى في تـدبير أمر رحيلي، حيث اشـترى لي بعض البضـائع والحاجيـات. وهكذا، كان مجموع الأيام التي قضيتها في اصـفهان، خمسة عشر يومـا، لم ألتق خلالها بزوجـــتي المتلهفة للقـــائي، خوفا عليها من العاقبـــة، فيما لو علم زوجها بذلك.

* * *

من اصفهان الى عكاء

رافقتـني مجموعة من الرجـال الى خـارج مدينة اصـفهان، وأنا أحمل بضـائع وحاجيات صغيرة الحجم، يسهل التعامل بهـا، وكـانت هي كل رأس مـالي، اضـافة الى ثلاثة أو أربعة تومانات، أعطاني اياها سلطان الشهداء.

بقيت أسـافر مشـيا على الاقـدام. فوصـلت كاشـان، والتقيت بوالد علي قلي خان، الساكن في أمريكا الآن(49) "وهو من أقرباء أمين الدولة(50) "، وكان رجلا ممتـــازا. وبعد قضـــاء بضـــعة ايـــام، ذهبت الى قم، وســـكنت مع مجموعة من الاصفهانيين، رافقوني في سفري، وكانوا أوغادا الى درجة كبيرة، لكـني اسـتطعت كسب صداقتهم. وهنا، صادفني شخص يصطحب بعض الدواب الخالية من الأحمال، فإستأجرت منه واحدة وسافرت معه. ولم ندخل خلال سفرنا مدينة قزوين، اذ مرَّ السائق قرب سلطانية، وبوصولي ضواحيها، سمعت النـاس، يتنـاقلون خـبر تسـفير بعض البـابيين من بغـداد الى طهـران، وعلمت فيما بعد أنهم كـانوا، الملا حسـن، وقانتة، زوجة أزل، وولدها نور اللـه(51)، وبصـحبتهم أحد المؤمـنين الخراسـانيين، ويـدعى عسـكر صـاحب. لكـني لم أسـتطع التقـاء قانتـة، لأني سـكنت في مـنزل صاحب البغال.

قاسـيت كثـيرا، خلال رحلـتي الى همـدان، وخـرجت أبحث عن شـخص، يملك بغالا للسفر عليها، عند توقفنا في أحد خاناتها. فعـثرت على رجـل، اسـتأجرت منه بغلا، سلكت به طريقي الى سفج بولاق، حيث يسكن أحد الأحباء. لكـني لم أذهب لزيارتـه، بل ذهبت الى أحد خانـات التجـار للمتـاجرة. فتقـدم مـني خـادم، لشـراء شـيء من بضـاعتي، وبعد حـديث قصـير، طلب مـني النهـوض لمرافقتـه، ومقابلة ضابط الجمارك. فذهبت، ووجدت عنده بعض الاصفهانيين، ممن عرفـوني، وأخـبروه بأني أحمل ما يجب دفع رسوم عنه. فقال لي:

- من أين جئت؟
- من اصفهان.
- الى أين تتجه؟
- الى راوندوز في الأراضي التركية.
- هل معك ما يجب التصريح له؟
- لا. ولكني مستعد لأفعل ما تأمر به.

كـانت تلـك، بداية لحـديث طويل بيننـا، أمر خلاله بكرسي لجلوسـي، كما أمر باحضـار بضـاعتي وإعادتها لي. فحـاولت رفضـها، لكنه أصر على اعادتهـا، بعد أن ابدى لي كثـيراً من الاحـترام. ومن ضـمن ما قالـه: (أنا ضـابط جمـارك، وأسـتطيع مساعدتك بالكثير، فقل لي ما يدور في ذهنك).

قلت، في الحقيقة لا شـــيء في ذهـــني، أنا ذاهب الى حيث أســـتطيع توزيع بضـاعتي. فنهض وتقـدم لتفحص البضـاعة، مـرة ثانيـة. ولمّا لم يجد فيها شـيئاً ذا أهمية، عاد للجلوس لتكملة حديثه. وأخيرا، قام وترك المكان.

عندما شاهد رئيس القافلة، ما أظهره ضـابط الجمـارك، من احـترام ومعاملة حسنة لي، راح يقلده ويفعل مثله، خاصة وان الضابط، بقي يزورني كل يــوم في سفج بولاق.

أخــيراً، وجــدت فرصة مناســبة، وقلت للضــابط.. أريد السـفر الى راونــدوز. فأجابني يمكنك ذلك، لكن، لاتـذهب الآن فـالطريق خطـرة. انتظر وسـوف أرسـلك بطريقة آمنة الى هناك.

جاء صاحب البغال، فناداه ضـابط الجمـارك، واستفسر منه عن موعد رحيلـه. فأجابه: سيكون ذلك خلال يومين أو ثلاثة. فقال له الضابط: حسناً.. عليك باصطحاب هذا الرجل معـك، فأنا أعهد به اليـك. كما أكـد، في نفس الـوقت، صـاحب الخـان على الرجل، وكرر وصية الضابط.

وبالمناسبة، حصلت على جواز سـفر لي. لـذلك، ذهبت واشـتريت سـجادة من النــوع الجيّـد، ودابة بمبلغ ثمانية تومانــات، جهّزتها للســفر. وعنــدما حــانت ســاعة الرحيـل، واسـتعد رئيس القافلة للتحـرك، جـاءه ضـابط الجمـارك، ووضع يـدي في يده، وأخذ منه عهدا بالحفاظ على سلامتي، وقال له: اذا فقدت شعرة واحدة من رأس هذا الرجل، فلا تريني وجهك في هذه المقاطعة ثانية.

ضمت القافلة، العديد من المسـافرين، ومن ضـمنهم، ثلاثة من رجـال الـدين، اشــتروا مــني بعض المقصّــات وعلب الاقلام، نتيجة معــاملتي الحســنة لهم. وفي احدى نقاط التوقف، جاءني هـؤلاء قـائلين: نحن نسـافر معك مشـياً على الأقـدام، ولـدينا مشـكلة صـغيرة نسـألك حلهـا. نحن نملك ثلاث لفـّات من القطن، نـود أن تحملها معك على ظهر دابتك. فـوافقت على طلبهم، خاصة وان جميع المسـافرين كانوا يعاملونهم بمنتهى الاحترام، فلقد كـانوا من مريـدي الشـيخ عبيد اللـه، الـذي تمرد أخيراً على ناصر الدين شاه.

وصلنا راوندوز، فأعدت للرجال، لفـات القطن، وذهبـوا الى حـال سـبيلهم. بعد مدة، جاءني شخص ليخبرني، ان الشيخ عبيد الله يبحث عني. فذهبت معه، وهناك وجدت رجال الدين حاضرين في مجلسـه، وخلال اللقـاء، امتـدحوني امامـه، لدرجة أن الشيخ أكرمني كثيراً. واستضافني عنده، مع دابتي وحاجاتي. بعد فترة، قلت له: ياسيدي، لا يمكنني البقاء عندك أكـثر من هـذا، خاصة ودابـتي معي. أجـاب، حسن جدا. وأرسل من يبحث لي عن بيت للسكنى. فانتقلت اليه، وبقي هو، يبعث ورائي لزيارته باستمرار، ويعاملني بغاية الاحترام. كـان هـذا الشـيخ محط احـترام وتقـدير كبيرين بين الأكراد، لدرجة أنهم كـانوا يقسـمون اليمين، بـذيل ردائـه، بل وأحيانـا، بحذائـه. بعد فـترة، قلت لـه: ياسـيدي الشـيخ، علي بالرحيل الى مدينة الموصـل. أجـــابني انتظر قليلا، فلي صـــاحب قافلة من معـــارفي، هو الآن في طريقه من الموصل الى هنا، وعند حضوره، يمكنك الذهاب معه، فالطريق غير آمنة0

انتظـرت عـدة أيـام، حـتى وصـلت القافلـة. فأرسل الشـيخ في طلـبي، وقـال لرئيس القافلة، وهو يوصيه: أريدك ان تصطحب هذا الرجل معك، وبعودتـك، تجلب رسالة منه، تثبت وصوله بسلام. ثم كرر امتداحي أمامه عدة مرات.

ومن باب التعارف والمجاملة، قدّمت للرجل، بعضا مما أحمل من تبغ وزبيب، لكسب صداقته. ومقابل ذلك، اصـطحبني الى ملتقى التجـار، ووفر لي ما أحتاجـه، مظهرا لي كل احترام.

لم نزل على ضفاف نهر دجلـة، ولم نـدخل مدينة الموصل بعـد، عنـدما جـاء من يخبرنا، أن السلطات العثمانية، تصادر جميع الدواب من الناس، لتسخيرها في

الحرب. فجاءني صاحب القافلة، يطالبني بكتابة رسالة الى الشيخ عبيد اللـه، أوكد بها إتمامه مهمته على خـير وجـه، ووصـولي الى هـدفي بسـلام. فأخبرته اني لا أعـرف الكتابـة، وعليه ان يطلب من غـيري، ممن يعـرف الكتابـة، كتابة الرسـالة. أخيراً، ذهبت الى ضفة النهـر، واسـتأجرت قاربـاً للعبـور الى ضـفة النهر الاخـرى، بينما عاد صاحب القافلة أدراجه.

وحال دخولي مدينة الموصل، ذهبت لزيارة بيت زين المقـربين، ومكثت عنـده عدة أيام، أطلعني خلالها، على احوال عكاء، ومنع سلطاتها الدخول والخـروج منها واليها. فقلت له، أنا ذاهب الى عكاء، وليكن ما يكن.

ولما شـاهد الأحبـاء، اصـراري على الرحيـل، نصـحوني بالتعجـل، للحـاق بأحد مؤمني بغـداد العـرب، الـذي يَمَمَ وجهه صـوب عكـاء، قبل وصـولي بفـترة قليلـة، وقالوا لي: طالما ان الرجل عربي، فلن تثير السـلطات المشـاكل معه عند دخوله المدينة. فاسرع للحاق به والدخول معه.

غـــادرت الى مدينة كركـــوك، ومنها الى ديـــار بكـــر، ثم الى حلب، حيث استأجرت منزلا فيها، كما ذهبت لزيارة أحد المؤمـنين المسـنين، وكـان يعمل في طلاء الحلي. هنا، في حلب، استطعت اللحاق بمحمد، الرجل البغـدادي، الـذي كنت في أثـره، وعلمت منـه، أن والـده من الأثريـاء، وقد حرمه من المـيراث، بسـبب ايمانه بالدين الجديد، لذلك يسافر هو، مشياً على الأقدام.

في حلب، عرض علي مؤمن حلبي، بيع دابـتي، بعد علمه برغبـتي في ذلـك، بثمانية تومانات، وهو نفس سعر شرائها، رغم انها، كانت تسـاوي أكـثر من ذلـك. ثم أستأجرت دابة أخرى، لأسـافر بها الى شـاطيء البحر المتوسـط. وهنـاك، بعت كل بضائعي في الميناء، قبل ركوبي السفينة التي رست في مينـاء بـيروت، حيث نزلت أحد الخانات، ويدعى محكمة القضاة.

كان رفيقي محمد، رجلاً سريع الغضب بطريقة لا يمكن وصـفها، ولم أشـاهد في حيـاتي شخصا مثلـه، الا نبيل زرنـدي ومحمد مصـطفى بغـدادي، اللـذين كانا سريعي الثورة والغضب مثل صاعقة.

خـرجت من بيـتي في بـيروت، لشـراء بعض الطعـام، وحالما شـاهدني محمد عند عودتي بالغذاء، راح يصرخ، ويقول: (ما أنت الا كلب...!). فبقيت صامتا أسـتمع اليه بهدوء، أنتظر فرصة للكلام، وعندما حـان دوري، قلت لـه: (أقا محمد.. تعـال وأجلس بجانبي، وكل معي، فـان الانسـان يمكنه الاحتـداد والغضب مـتى شـاء. فلا تتعجل الآن...). عندها، انفجر ضـاحكا، وقـام ليقبلـني، وقـال: (حسـنا00 ما هو نـوع الأكل).

أدركت فيما بعد، ان الرجل، تصّور اضماري السوء له، أو رغبــتي بدفعه ثمن الطعام. وفي النهاية، اعتذر لي عن ظنه ومسلكه.

كنت أحمل ثلاث رزم من الرسائل، الى حضرة بهاء الله. فخطرت في ذهني، وأنا في بيروت، فكرة شراء بعض الحاجيات الصغيرة، ووضعها في سلة، للمتاجرة بها، كحجة لدخول عكاء. فأشتريت تذكرة سفر، وتوجهت نحو السـفينة. فإسـتوقفني رجـال الجمـارك. ولكي لايتـأخر صـاحبي محمد عن اللحـاق بالسـفينة، طلبت منه الاسراع في الصعود اليها. وعندما استطعت تخليص نفسي منهم، لحقت به، لحظة استعدادها للابحار صوب عكاء.

وصـولي عكـاء

صعدت الى ظهر السفينة، رغم فقداني تذكرة سفري. وكـان صـاحبي محمـد، قد صـعد على متنهـا. كنا ما نـزال في وسط البحـر، تلك الليلـة، عنـدما وصـلت سفينة ثانية من اتجاه آخر، فاستطعت بشـتى الوسـائل الصـعود اليها والتوجه الى عكاء. فوصلت ساحلها خلال الليـل. وفي هـذا الـوقت، كـان قد مضى على ابعـادي ونفيي، سنة كاملة، هي سنة 1869م.

اتجهت فور وصولي الى بيت المسافرين، حيث قابلت الحاج عباس مرة ثانية (وهو من اعراب بغداد، نقض العهد فيما بعد). وكنت قد قابلته في بـيروت، وكـان متوجها الى عكاء ساعتها. وقلت له: لا تخبر أحدا في عكاء، ان استاد محمد علي، قادم. قلت له ذلك، بسبب انه كان بحوزتي، ما يقرب من ستين رسالة والتماس، أرسلها المؤمنون الى حضرة بهاء اللـه، رغم شـدة اعتراضي على حملهـا، الا اني أخـذتها بسـبب اصـرارهم الشـديد، فـربطتهم حـول سـاقي، خوفـاً من اكتشـاف السلطات لها.

وعلى عكس ما أوصــيته، أخــبر الحــاج عبــاس، حضــرة عبد البهــاء بموعد وصولي، وقـام حضـرة عبد البهـاء بـدوره، بـإعلان ذلك للأحبـاء، بقولـه: (ان اسـتاد محمد علي سيصل اليوم).

غـادرت السـفينة، حـاملا حقيبـتي متوجها نحو البوابـة، فشـاهدت مجموعة من الاحباء، تقف مجتمعة هنـاك. وبسـبب تشـابه ملابسـنا - لأني عـدت بنفس الملابس التي تركتهم بها قبل عام - لم تسـتطع الشـرطة تمـيزي عن الآخـرين ومنعي من الـدخول. وفي لحظة وصـولي، تقـدم أحد الحـراس وخاطبنـا: (هيا ادخلـوا). فقلت: (وماذا عن حجياتي؟). قال: (احملها وادخل).

تــوجهت فــورا، الى مكــان ســجن الجمــال المبــارك، داخل الثكنــة. فــتركت حاجيـاتي، وصـعدت الى الطـابق العلـوي، حيث تشـرّفت بلقائه في زنزانـة، تـدعى غرفة أقا جان، ووقعت على أقدامه أقبلها. فتفضل يخاطبني: (ياأستاد محمد علي.. لم يفتك الكثير لتراه، الا مشاهدة منظر تسفيرنا الى عكاء. ومشهد حضـور بـديع(52) الى هنا. لقد قابلناه وأسكناه في هذه الغرفة، كنّا معا، وحولناه الى كـرة من نار، وتركناه يذهب، بعد ان أوصيناه، بعدم مصـاحبة أي شـخص خلال الطريـق، أو دخول اي مـنزل، أو التعـرف على أي انسـان. وأمرنـاه، بتسـليم اللـوح بيد الشـاه شخصياً. فذهب لمقابلة الشاه، وجلس على صخرة في حقل، اعتاد الشاه، تمضـية وقته في الصـيد هنـاك، وقـام برفع الرسـالة بيديه عاليـاً، ورفض تسـليمها الا ليد الشاه، قائلاً: "علي بتوصـيلها ليد الشـاه شخصـياً"0 فاسـتدعاه الشـاه، واسـتلم منه الرسالة. وبعد قراءتها، أدرك انها من البـابيين، فـأمر باعتقاله لخوفه منهم. ولا يهم ما جـاء في التحقيق معـه، لكنـه، لم يكتم ايمانـه، ولم يتفـوه بكلمة واحـدة عن الأصحاب. وفي النهاية، قتلـوه. ان هـذه الأمـور بالنسـبة لي، هي حقـا، مثل الخمر بالنسبة للشاربين).

كما تفضل حضرته، مكررا عدة مرات، بعد استشهاد الحـاج محمد رضـا(53): (ان دمـه، سـفك بالطريقة الـتي نرتضـيها. ان دم بـديع، ودم الحـاج محمد رضـا، سفكا برضانا التام).

صرفني من محضره المبـارك، بعد أن قصَّ عليَّ، حكاية بـديع بتفصـيل كبـير. فخرجت من غرفته الى الطابق السـفلي للثكنـة، وقمت بجمع ما معي من نقـود، وسلمتها الى ميرزا محمد قلي(54)، لتقديمها الى حضرة بهاء الله.

بالمناسبة، عندما غادر حضرة بهاء الله بغداد، كان لميرزا مهدي كاشاني، أختاً، رغب في تزويجها الى حضرته، الا ان حضرته لم يتزوجها، وأمر بايداعها بيت أخيها. ظل ميرزا مهدي، يبعث بالعديد من الرسائل والالتماسات، طالبا فيها زيارة عكاء، وبقي على هذه الحال، حتى وصلها في النهاية، ومعه أخته.

ذات مرة، استدعاني حضرة بهاء الله، وتفضل قائلا: (استاد محمد علي، عليك بالذهاب الى الباشا حاكم عكاء، ونقل ما سأقوله لك بالضبط).

فذهبت الى الباشا، وقلت له: (جئت الى هنا، مع عدد من أفراد بيت حضرة بهاء الله، منذ عدة أيام، وأنا الآن أقيم في الثكنة كضيف عندهم. وأملي أن تأذن لي بممارسة التجارة هنا). فأجاب الباشا: (حسناً.. إذهب، وأبدأ عملك). ففرحت كثيراً، وعدت الى حضرة بهاء الله، أخبره النتيجة. فتفضل: (اذهب واستأجر دكانا. وأعلم أن السبب الحقيقي لذلك، هو أن هذا المحل، يجب أن يفتح باسم الله ومن أجله).

كانت عملية العثور على محل خال في عكاء، ليست بالأمر اليسير، وبالصدفة وجدت محلاً خالياً، فأسرعت لإستئجاره ونقل بضاعتي اليه، والشروع في العمل. كما نصحني حضرة بهاء الله، بالاتجار بالحاجات الصغيرة الضرورية، فهي تجارة مربحة وغير متداولة في مدينة السجن. زاولت في عكاء، نفس عملي اليومي السابق الذي مارسته في أدرنه، وهو نقل جرار ماء الشرب، من خارج المدينة الى البيت المبارك. أما الآن، في هذه الأيام، فالماء يدخل مدينة عكاء، من خلال ساقية قديمة، كانت مهملة، أصلحها حاكم المدينة، بعد ان اقترح حضرة بهاء الله، عليه ترميمها واستغلالها. كان هذا الحاكم، يتمنى تنفيذ أي رغبة، يأمر بها حضرة بهاء الله.

ذكرياتي في أدرنه

لنعد الى أيام أدرنه. فبعد حديثي السابق مع أزل، بدأ أمره ينكشف تدريجيا. وذات يوم، جمع حضرة بهاء الله، كل محتويات البيت وآثاثه، من بسط وأوان نحاسية وشموع، وقسّمها الى نصفين، ثم أرسل لأزل حصته. وكان قد سبق وان أرسل درويش باقر، الى منزل أزل، ليقوم على خدمته، لكن هذا، انقطع عن الذهاب، حال حدوث عملية الفصل، وقال: أنه لا يستطيع ذلك بعد الآن.

مضى بعض الوقت، وعاد حضرة بهاء الله، لإنزال الألواح الى أصحابه، وكان من ضمنها، لوح الى مير محمد، وهو رجل جريء جداً من كازرون، جاء من سامسون الى أدرنه. في هذا اللوح المبارك، يطرد حضرة بهاء الله، سيد محمد اصفهاني، من بين الأصحاب، بعد ان أعطاه ما يحتاجه من المال. بعد قراءة مير محمد، هذا اللوح، ذهب الى أزل - وكان آنذاك وقت الفصل - وخاطبه: (ان مولانا حضرة بهاء الله، يدعي "ان الحكم الا لي". ويعلن ضرورة خضوع الجميع لأمره. وهذا لوحه النازل باسمي، يصرح بذلك. فما قولك؟).

أجاب أزل: ان حضرة الباب، عيّنني خليفة له. ان خليفته هو أنا.

أجاب مير محمد: لا تربكونا.. أنت تدعي هذا، وهو يجزم بذلك. اذهب واجلسا معا، وسوّيا هذا الاشكال بينكما.

أجاب أزل: هذه هي رغبتي بالضبط.. وبامكاني اثبات صحة دعواي، بالطريقه التي يختارها هو.

ذهب مير محمد، الى منزل حضرة بهاء الله، واخبر ميرزا أقا جان، بما سمعه. فذهب هذا بدوره، الى حضرة بهاء الله، وأخبره بالموضوع، وعاد بالجواب التالي: (هذا ما أريده. دعه يحدد المكان، وسأكون هناك، وليعين من يشاء حكما، حتى تتضح الامور وتنجلي تماماً).

في هذه الأثناء، كان حضرة بهاء الله، يسكن في بيت لأحد البقالين، استأجره الأصحاب له، يبعد كثيرا عن بيت أزل وجامع السلطان سليم. فعاد مير محمد، ليذهب الى بيت أزل، ليخبره بالجواب، وقال له: عليك بتحديد مكان اللقاء، وسوف يحضر حضرة بهاء الله الى هناك للمناقشة. فكّر أزل قليلا، ثم قال: أعتقد ان جامع السلطان سليم، مكان مناسب. سأذهب الى هناك، وسنقول ما نريد. عاد مير محمد بالجواب، الى حضرة بهاء الله، فتفضل قائلا: حسن جداً. متى سيحضر؟ رجع مير محمد، مرة أخرى الى بيت أزل، وسأله عن وقت الحضور، فأجاب: غداً عند الظهيرة.

اذن.. الموعد غداً عند الظهيرة...!!!

خرج حضرة بهاء الله، قبل ظهر اليوم التالي، من قسم بيته الخارجي، بعد أن منع اتباعه، من اللحاق به، ففعلوا إلا مير محمد، فقد ذهب معه. وبوصول حضرته الى الجامع، لم يجد أثراً لأزل(55). فانتظر زهاء الساعة، الا ان أزل لم يظهر، مما دعى مير محمد، للذهاب الى بيت أزل، مرة أخرى، وهناك قال له: أنظر يا هذا.. عليك بالحضور كما وعدت. فأجابه أزل: اذهب أنت.. وسأحضر بعدك.

وتكررت عمليه ذهاب واياب مير محمد، مرتين أو ثلاث، لكن أزل لم يحضر. وبهذا التردد والانسحاب والانزواء، اتضح للجميع بطلان وكذب دعواه.

أما حضرة بهاء الله، فبعد قضاء ساعتين أو اكثر، عاد عن طريق السوق، وهو ينزل الآيات، كما كان يفعل عند ذهابه. وتفضل عند دخوله البيت: (ادعى انه سيأتي. لكن، لم يظهر له أثر). بقي مير محمد، يعلن بين الأصحاب، ويكرر: (أن أزل ليس الا كاذباً. فلم يرنا وجهه أبدا).

بعد هذا المنعطف التاريخي الخطير، استأذن مير محمد للرحيل، وغادر أدرنه الى استنبول(56).

* * *

حدث ان ذهبت زوجة أزل الشيرازية، والدة أحمد، بعد حادثة الجامع الى السلطات في استنبول شاكية، وادعت ان حضرة بهاء الله، قد تركهم منذ مدة طويلة، وقطع عنهم مخصصاتهم الحكومية، وهم الآن محتاجون ولا يملكون ما يشترون به طعاما. فقالوا لها: ارجعي وسننظر في هذا الأمر.

فجاء أحد المفتشين، من مقر الحكومة، وقام بفحص السجلات والتدقيق فيها، واتضح أن الشكوى، ليست سوى محض كذب وافتراء لا غير(57)0 (لان حضرة بهاء الله، كان يقسّم الأموال المخصصة له وللاصحاب، بعد عملية الفصل حصصا، فيعطي قسما منها الى ميرزا موسى، والى ميرزا محمد قلي، والأصحاب)0 وعلى سبيل المثال، كانت حصتي منه خمسة "مجيديات"(58). وبعد أن يوزع للجميع حصصهم، يحتفظ لنفسه، بجزء قليل من المتبقي، يسلمه بيد ميرزا أقا جان، ويرسل الباقي (وهي حصة تزيد على حصة أي فرد في الجماعة) الى أزل. بعد الفصل، اتخذ ازل لنفسه خادما واحداً لاغير، ولم يسكن معه غير سيد محمد، الذي ترك تلميذه في تكية مولوي، (ان كل أعمال أزل الشيطانية الحقيرة، كانت من تدبير سيد محمد). لم يحاول أحد من الاصحاب، الذهاب لرؤية

أزل أو زيارته، سوى شخص واحد يدعى (الحاج ابراهيم كاشاني) وكان يعمل سائسا للخيل، رافقنا في سفرنا من بغداد الى استنبول بدون اذن من حضرة بهاء الله، وهو يسكن الان مع بقية الاصحاب في نفس البيت.

كانت مصروفاتنا مقسمة كلٌ على حدة، في هذا البيت، وعلى كل فرد تدبير أمره، بالطريقة التي يراها مناسبة له. فكان ابراهيم هذا، يتردد بكثرة على منزل أزل وسيد محمد، بطريقة لم نكتشفها أو ننتبه لها. وخلال ذلك، تدبّر هذان الاثنان، مع ابراهيم، خطة لارساله الى ايران، في مهمة خاصة، حيث قال سيد محمد لابراهيم: سنرسلك الى ايران، ونبعث معك رسائل كتبها جناب أزل، وساذيلها أنا، برسالة أشرح فيها ما يدور هنا، وعليك بايصالها لكل مقاطعات ايران. فاقتنع هذا الأحمق بالعملية، وعزم على تنفيذها. وهكذا.. جهزا كل شيء لرحلته، ورسما خطتهما، وهيئا المال اللازم لسفره، وكتبا الرسائل المطلوبة، وأبلغاه التعليمات، محددين له المناطق الواجب زيارتها.

أتذكر انه سبق لأزل، أن طلب من احباء ايران، عباءة له. وبعد فترة، وصلت العباءة الى يد حضرة بهاء الله - اثناء خدمة صادق علي درويش في بيت أزل - فألقى حضرته، نظرة عليها، وتفضل: (انها عباءة جيدة). ثم خاطب صادق علي، وقال له: (سلّمها لأزل). ففعل صادق ما أمر به.

أعطى حضرة الجمال المبارك، بعد مغادرة بيت أمر الله، أزل وسيد محمد، حصتهما من كل شيء، وتركهما يرحلان لشأنهما.

بعد هذا الفصل، أغلق حضرته، باب بيته، واعتزل الجميع، وأعلن صراحة، عدم السماح لأحد بزيارته او التحدث اليه، وهذا ما حدث بالفعل. فقد تركنا جميعاً كل لشأنه، وصرف خادمه نجف علي وأعاده الى ايران، قبل مغادرته البيت المذكور، ولم يبق لخدمته، سوى محمد ابراهيم زنجاني، وميرزا أقا جان، لاغير.

وبمجرد عودة العلاقة بين أزل وسيد محمد من جديد، عاد الثاني، لبث أفكاره الخبيثة الى أزل، يوما بعد يوم. هذا، بالاضافة الى انه، كان يقضي معظم أوقاته في محلات الايرانيين.

انقضت ايام واسابيع، عزلة حضرة بهاء الله. وكانت طويلة وقاسية، بالنسبة لنا. وجاء اليوم الذي أمر حضرته، باعادة فتح باب بيته في وجه الجميع، وترك لهم حرية الاختيار، في الانضمام اليه او الابتعاد عنه.

* * *

كانت هنالك غابة جميلة كثيفة الاشجار، تقع خارج مدينة أدرنه، يخترقها نهر من وسطها، وفي داخلها قصر كبير، يعود لأحد الملوك السابقين، اعتدت الذهاب اليها بمفردي كل يوم، للتجول فيها والتمتع بمناظر أشجارها. ذات يوم، وانا هناك كعادتي، أقف عند جذع شجرة، تنتابني حالة من اليأس الشديد. شاهدت فجأة، حضرة عبد البهاء يعبر النهر وحيداً، من الضفة الأخرى، متجها الى ناحيتي. حاولت الاختباء حال مشاهدته، معتقداً عدم رغبته في لقائي او التحدث معي، خاصة واني لم أستدع الى البيت المبارك بعد، (كما ان أقا جان، كان يشيح بوجهه عن الأصحاب، كلما التقى بهم في السوق).

وصل حضرته، الى مكان اختبائي بين الأشجار، ونادى: (ياأستاد) !

أجبته: نعم.

قال: تفضل أخرج. دعني أراك.

فخـرجت، وبـدأت في البكـاء وذرف الـدموع، وشـكوت لحضـرته أمر ابعـادي، فواسـاني بعطفه المعهـود وكلماته الجميلـة، وتفضـل: (..لا.. ليس الأمر كـذلك. لقد عـدتم الى ظل حماية حضـرة بهـاء اللـه. فلا تحـزن. وأضـاف ممازحـاً، ألا تسـمع ضـفادع النهر وهي تنـادي (اذهب). عليك أن تكـون مخلصا وصـادقا، ولا تبـالي بما يقوله الناس)0

بعدها، تجول في الغابة قليلا، ثم غادر المكان. فعـدت الى الـبيت عـبر طريق آخر، وأنا أشعر بالراحة التامة.

* * *

لقد أغلق الجمال المبارك باب بيته، قرابة الشهرين، وكان مقصده من ذلـك، ترك الأصحاب، كل لذاته، ليقرروا ما يفعلون. فيلتجيء اليه المخلصـون، ويبتعد من يرغب في ذلك. فثبت الجميع، ولم يهتز منهم الا الحاج ابراهيم.

عادت أبواب بيت حضرة بهاء اللـه، لتفتح على مصـراعيها من جديـد، وارسل في طلبنا بعد الظهـر. فحضـرنا جميعـا، ووجـدناه جالسـاً في قسم بيته الخـارجي، قـرب السـماور على الأرض، يسـقي زائريه الشـاي بنفسـه. (لم يسـبق أن سـقى حضرته زائريه الشاي من قبل بنفسه، ولا مرة واحدة).

أما بالنسبة لنا، فحالما وقع بصرنا على هيكله المبارك، أجهشنا بالبكـاء. فـراح حضـرته يهـديء من روعنا ويـردد: (لمـاذا تبكـون؟ ها أنا ذا بينكم. فلم كل هـذه الدموع؟).

ثم امرنا بالجلوس، وصب الشاي لنا بيديه المباركتين، وقـام مـيرزا أقا جـان، بتوزيعه علينا. بعدها، نهض وترك مجلسنا، متجها نحو قسم بيته الداخلي.

اسـتاجر حضـرة بهـاء اللـه، بيتـاً للأصـحاب، قـرب بيتـه، مكوّنـاً من طـابقين ومطبخ، اضـافة الى حـوش واسـع. فشــرعنا في اليــوم التــالي من نزولنا فيــه، بتنظيمه واعــداده، وزرعنا أرضه واسـتعملنا مـاء بـئره العذبة لسـقي مزروعاتنـا. وأبـدينا اهتماما كبـيرا، بتنظيم الحديقة وتهيئة سـواقي ازهارهـا، فاصـبحت بمضي الوقت، جميلة تسر الناظرين.

أما حضــرة عبد البهــاء، فكــان يخالط عامة النــاس في تلك الاثنــاء، تــارة يصطحب نائب الحاكم الى بيتنا، واخرى حاكم المدينة. وعند زيارته، كنا نفـرش له حصيراً من القش، ليجلس عليها ويتناول الشاي.

* * *

من جملة من ســكن في بيتنــا، انا ودرويش، رجل طيب القلب، لاتشــوب سمعته شائبة، يدعى حسين، اصطحبه نبيل زرندي معه من بغداد عند قدومه الى ادرنه. ذات يوم، سقط حسين مريضا بداء الجمـرة، وتقـرّح جسـمه. وفي احد ايـام مرضه ومعاناته الشــديدة، قــال لي: (ياأســتاد محمد علي، لي رغبة ملحة في التشرف بحضرة المولي وبقية الاغصان(59). اريد مشاهدتهم قبل موتي.

قلنا له: يا أمي.. (وكنا نلقبه هكذا مزاحا).. يا أيها العجوز اللـئيم المتمـدد هنـا، انك لن تموت. اقسم لنا، بانك ستفعل هذا بعد رؤيتهم، ان نفذنا رغبتك.

ذهبت للـبيت المبـارك، واخـبرت حضـرة المـولى برغبة حسـين. فقـام الجميع بزيارته وتحقيق رغبته.

بعد انتهـاء الزيـارة، ومغـادرتهم غرفتـه، قلت لـه: حسـناً يامامـا.. لقد وعـدتنا.. فلماذا لاتموت الآن؟ هيا مُتْ. أجابني.. هنالك خدمة اخـرى، احب ان اسـالك اياهـا. وبعـدها، اطلب ما شـئت وسـأفعل. اجبتـه: مـاذا تريـد؟ قـال: اذهب الى مقهى اقا

محمد باقر، واحضر لي قليلا من التبغ الجيد، فانا اريد التدخين. ذهبت، واشتريت له قليلا من التبغ وجهزت نارجيلته، وراح يدخنها(60). بعد انتهائه من التدخين، اعتدل في جلسته، واعلن لنا قائلا: (لن أموت.. لقد عادت لي الحياة مرة اخرى).

لكننا لم نتركه، وبقينا نطالبه الوفاء بوعده والموت. وكنا نقول له: (عليك الوفاء بوعدك.. هيا مت..) اما هو، فبقي يردد: لن أفعل. لكن جسده، كان قد ملىء بالقروح. وبعد ان دام مرضه زهاء الاربعين يوما، صعد الى الرفيق الأعلى.

حاولت وصاحبي درويش، القيام بنقله الى المغسلة، لغسله وتكفينه. فصعب علينا نقله، وهو على تلك الحالة، فقلت لدرويش: اذهب واجلب بعض الماء، وسأقوم بغسله وتكفينه هنا، ثم نقوم بدفنه. وهكذا فعلنا.

* * *

لنعد الى الحاج ابراهيم الكاشاني، وزياراته السرية، لازل وسيد محمد. فبعد اعادة فتح باب بيت الجمال المبارك، في وجه اتباعه. ظهر الحاج ابراهيم، في جناح الضيوف، يحمل حقيبة بيده، ويرتدي ملابس السفر. واخبرنا، انه جاء ليأخذ الاذن بالرحيل. وفي هذه اللحظة، كشف لأقا جان، عن تردده المسبق على منزل ازل وسيد محمد، بغرض معرفة اخبارهما، وكشف ما يدبرانه، وعن عدم رغبته في السفر، بعد ان توصل الى بغيته. وانه ليس لاحد من الاصحاب علم بما كان يفعله. كما اخبرنا، انهما أوكلا اليه، مهمة الذهاب الى ايران، لنشر تعاليمهما، وأعطياه مجموعة من الرسائل والوثائق، لايصالها الى بعض الاشخاص هناك.

عندما علم حضرة بهاء الله، بما حدث، أمر أقا جان، ان يذهب الى الحاج ابراهيم، ويخبره: (عليك بالسفر الى ايران، كما أمرت، لانجاز ما أوكل اليك من مهام، وتسليم الامانات الى اصحابها، دون معرفة فحواها). الا انه رفض الرحيل، رغم مطالبتنا له جميعا، بالاذعان لأوامر حضرة بهاء الله. لكن هذا البهائي المتذبذب المسكين، لم يستطع تحديد ما يريده بالضبط. كما ان ازل وسيد محمد، اعتقدا انه سافر لانجاز مهمته.

بمرور الوقت، راح الاصحاب، يفتحون ويقرأون رسائل وكتابات ازل، شيئا فشيئاً (من تلقاء انفسهم، وبدون علم حضرة بهاء الله).

وعلموا، ان ازل، نسب لحضرة بهاء الله، كل اعماله الشيطانية، التي ارتكبها هو بنفسه. وجاء في بعض رسائله: (لقد خططوا لقتلي. أنا مختبيء الآن، ولا يزورني او يسأل عني، سوى سيد محمد. حتى انهم لم يسلموني عباءة الفرو، التي ارسلتموها لي)0 عندما سمع درويش،ما جاء في الرسالة، راح يخبر كل من يراه، انه حمل العباءة بنفسه، وسلمها لأزل شخصياً.

* * *

بعد فترة.. ترك حضرة بهاء الله، بيت رضا بك، وانتقل الى بيت البقال. ومع عدم احتواء البيت، على قسم خارجي لاستقبال الضيوف، الا ان قسمه الخاص بالعائلة، كان رائعا جدا. وخصص لحضرة المولى جناح فيه.

وكعهدي سابقا.. قمت على خدمة العائلة المباركة، وعملت في غرفة الشاي والقهوة. وبقيت ارافق حضرة عبد البهاء، في زياراته، اينما ذهب.

بقي الحاج ابراهيم، يسكن خارج ادرنه، مع مجموعة من الاصحاب، حيث يعيش مشكين قلم وسياح، رغم استلامه مصاريف سفره الى ايران من أزل. وكما ذكرت سابقا، أصر هؤلاء الاصحاب (مشكين قلم وسياح)، على ترك مدينة

ادرنـــه. فوافق حضــرة بهــاء الله على ســفرهما، وتفضــل: (حســنا جــداً.. يمكنكم الذهاب). وهكذا، توجهوا الى استنبول، حيث تم اعتقالهم.

ان هذا البيت الذي غادرناه في ادرنه، والخيول بصحبتنا، وقاسـينا ما قاسـيناه من كل تلك المتـاعب. هو نفس الـبيت، الـذي كنت أحمل اليه المـاء، من خـارج المدينة كل يوم.

* * *

عدت ذات يوم، من خـارج الـبيت، ودخلت غرفة الضـيوف، فـأخبرني أحـدهم، ان أقا جمال بروجردي(61) موجود هنـا. فـذهبت الى الغرفـة، ووجدته جالسـاً في احد اركانها، منتظراً إذن تشرفه بمحضر حضـرة بهـاء اللـه، وملتفا بعباءتـه، وعلى رأسه، عمامة كبيرة، ومخرجا يـده من تحت عباءتـه، بطريقة يسـهل تقبيلهـا، لمن يشاء. كان رجلا حقيراً بالتأكيد!!

كنت اعتقد نفسي آنذاك، ذكياً بما فيه الكفاية. فذهبت، وفتحت الباب، ودخلت عليـــه، وقلت لـــه: (الله ابهى). ثم اتخـــذت لي مجلســـا، أمامه مباشـــرة، بطريقة احتقرته فيها، وتظاهرت بالعظمة، وتجاهلته تماما. ورحت أتمدد في جلستي أحيانـا، وأقف ثم أعود وأجلس أحيانا اخرى. كنت أفعل ذلـك، للتقليل من شـأنه ليس الا، لانه كـان يجلس في غرفة الاسـتقبال الخاصة بحضـرة بهـاء اللـه، بطريقـة، يظهر فيها أهميتـه. بعـدها، عـدت لاجلس ثانيـة، ثم قلت لـه: (وكيف حالـك؟) فلم يجبـني بشيء، بل أومأ برأسه فقط. اخيراً، نهضت وتركته لوحده.

حان موعد تشرفه، بلقاء جمـال القـدم، وكـان الـوقت بعد الظهـر، فجـاء من يخبرني، بأن اصطحبه للتشرف. ذهبت اليه، وقلت: (أقا جمال.. بسم اللـه.. تفضـل). فنهض، وتقـدم، وأنا برفقتـه، وصـعد السـلم، وتركته عند مـدخل الغرفـة، ليـدخل بمفرده. وحال تخطّيه عتبة الباب، وامام مجلس الجمال المبـارك، تظـاهر، وبحركة مكشـــوفة مفتعلـــة، بالارتجـــاف قليلا، وأســـقط نفسه على الارض. فنهض الغصن الأطهر (ميرزا مهدي)، وتقـدم لمسـاعدته على النهـوض. الا ان حضـرة بهـاء اللـه، تفضل: (دعه وشأنه.. فسينهض بنفسه).

وبالفعل.. نهض الرجل من مكانه بهدوء، ولملم نفسه، واتخذ له مجلسـاً. مضى الوقت، وهو جالس في مكانـه، لكن حضـرة بهـاء اللـه، لم يخاطبه بشـيء. فنهض ليستعد للانصراف، بعد ان أعطاه حضرته، الاذن بـذلك. نـزل أقا جمـال بروجـردي، للطابق السفلي، وبقي عدة ايام. سُـمِحَ له بعـدها بالسـفر الى ايـران. فعـاد ليعلن عن نفسه، بدلا عن تبليغ ونشر الامر المبارك.

كان رجلا فاسداً منذ البداية، ولم يكن هدفه سوى التسلط على الجميع.

حسناً.. لنعد الى قصتنا.. عنـدما اخـذنا الخيل الى اسـتنبول، ولاقينا ما لاقينـاه، من مصاعب جسام هناك. كتب حضرة جمال القـدم، الى السـلطات الحكومية في اسـتنبول، يخـبرهم بوجـوب سـداده بعض الـديون المترتبة عليـه، للقصـاب والخبـاز وغيرهم، وبعدم امكانية سفره دون ذلك، وطالبهم بضرورة ارسال أثمـان الخيـول، لسداد ديونه قبل الرحيل.

أتذكر أيام اعتقالنا في استنبول مع مشكين قلم، عنـدما كـانوا يـدخلون علينا الرسائل والالواح المباركة سراً. فذات مـرة، وصـلتني رسـالة من أقا جـان، كـانت غالبية كلماتها من حضـرة بهـاء اللـه، تملؤها المحبة الشخصـية لكل فـرد منـا. أما كلماتها الجميلة لي فكانت: (منذ رحيلك.. ورأسي كل يوم، بين يدين مختلفتين).

غمرت هذه الكلمات اللطيفة، روحي وقلبي بالسعادة والسرور.

* * •

الملحق الاول

(الـحـمـّام)

الحمـّام (كلمة عربية الأصـــل، مشـــتقة من حَمى الشـــيء أي سَخـّنه). وهي عملية مطولة ومجهدة، لا تشـبه الحمّـام المعاصر0 فهو يحتـاج الى كميـات كبـيرة من الاعشـاب والحطب، لتسـخين مائِه وأرضـيته، كما يسـتعمل كمكـان للراحة والانتعـاش، حيث يحتـوي على غـرف عديـدة، وبـدرجات حـرارة مختلفـة، اضـافة الى باحة كبـيرة، تحتـوي على دكة صخرية مرتفعة، تسخن الى درجة حرارة عالية. اما السقف، ففيه فتحات زجاجية، لـدخول الضوء.

من جملة الخدمات التي تقدم داخل الحمّام، هي: غسل الاجسام بالصابون وشـطفها بالماء ودلكها بقفاز خشن، والعناية باليد وقص الاظافر والحلاقة، وتقديم خدمات استعمال مادة الحناء، وصبغ شعر الرأس واللحى، وازاله شعر الجسم بطريقة سريعة.

يسـتطيع المـتردد على الحمّـام، قضـاء السـاعات الطـوال فيـه، حيث يقـدم له بعد الاستحمام، الطعام والشاي والنارجيلـة. ويسـتعمل الرجـال والنسـاء، ذات الحمـام، ولكن في وقتين مختلفين.

والمتحمم، يستعمل قطعة قماش (ازار)، مصنوع من القطن، مـزين برسـوم مختلفة ذات الوان زاهية، لستر جسده عند الاستحمام(62).

* * *

الملحق الثاني

(الـهـودج)

عندما نفي حضرة بهاءالله، في فصل الربيع، من بغداد الى اسـتنبول، امتطى حصـانا مطهماً احمر عربيا اصيلا، وسار مع القافلة. وفي بعض الاحيان، كان يدخل هودجه الخاص طلبا للراحة.

شملت القافلة، نحو خمسين بغلا، وعشـرة فرسـان مع ضـابطهم، وسـبعة أزواج من الهــوادج، يعلو كل واحد منهــا، مظلتــان خفيفتــان، للوقاية من أشــعة الشــمس(63). واستغرقت الرحلة من بغداد الى ميناء سامسون، على البحر الاسود، مائة وعشرة ايام.

يتكون الهـودج الفارسـي، من جـزئين خشـبّيين، يتسع كل منها لشـخص واحـد، وهما مقوسان ومغطيان بالقماش ومثبتان باحكام على جانبي ظهر الدابة.

وهنالك وسـائل اخـرى للسـفر، مثل الكجفة (جـاءت هـذه التسـمية، من وضـعية الصـندوقين المائل على ظهر الدابـة)، وهما مفتوحـان ومربوطـان بشـكل متـوازن فـوق الدابة.

كما يوجد ايضا، (التخت روان) الكرسي المتحرك، ويشـبه في شـكله، غرفة صـغيرة، ذات باب وشـبابيك، وهي مثبتة بعمـودين، تربط في نهايتها البغـال. وحسب وصف كـوليفر رايز، فان طول العربة من أنف البغل الآول حتى نهاية ذيل البغل الاخير، تسـاوي عشـرين قدما تقريبا(64). وهي أفضل سبل السفر الايرانية، لكنها صعبة الالتفـاف عند المنحنيـات. لذلك لايرتاح اليها بعض المسافرين، خاصة، والبغال لاتسير بشكل متوازن.

* * *

الملحق الثالث

(النـارجـيـلـة)

تتكون النارجيلة الايرانية، من دورق زجاجي كبير، يحتوي على كمية من المـاء، يخـرج منه عموديـا، انبـوب خشـبي، بطـول خمسة عشر انشـاً، غالبا ما يكـون، مزينا بالرسـوم والنقوش الجميلة. ومن جانبه، يخرج انبوب خشبي آخر بشـكل مائـل، يسـتعمل للتـدخين، تثبت في نهايته، قطعة معدنية فضية اللون، تستعمل لسحب الدخان من خلالها.

والتبغ الخــاص بالنارجيلــة، يختلف عن غــيره. فــيرطّب ويعصــر، ويوضع في الانــاء المزخرف، المثبت في أعلى الغليـون، وتوضع فوقـه، قطعة من الجمـر، غالبا ما تؤخذ من جذور نبات التبغ.

ان عملية ايقـاد فحمة النارجيلـة، ليست بالعمل اليسـير، فهي تتم بوضـعها في سـلة معدنية، مثقبة ومثبتة بحرية بسلك. توقد الفحمة، وتحرك بواسطة السـلك، بشـكل دائـري في الهواء، حتى تتقد وتصبح جمـرة، وتبـدو للنـاظر، وخاصة في وقت الليـل، اثنـاء دورانها في الهواء، كشعلة دائرية متصلة.

يمر الدخان، نـازلا من خلال الانبوبة العموديـة، متجها الى الاسـفل، فيصـدر (قرقـرة) نتيجة اختراقه الماء داخل الدورق، ويخرج من الانبوب الجانبي، ليستقر في رئة المدخن.

ويتنــاوب المــدخنون النارجيلــة، كل حسب دوره، فيســحب المــدخن ثلاثة أو اربعة أنفاس، ثم يمررها الى الشخص الجالس على يمينه(65).

* * *

الملحق الرابع

(الاندرون والبيرون)

(قسما البيت الداخلي والخارجي)

عاش الايرانيون القدماء - موسرو الحال - في بيوت على شـكل مجمعـات، تحيط بها الاشجار الكثيفة والازهار وأحواض المياه، وتلحق بها المطابخ والاسطبلات. يتكـون الـبيت، من قسمين رئيسين، الاول للرجال ويدعى بيرون، والثاني للنساء ويسمى اندرون. ويقــوم على خدمة القسم الاول، الرجال، وعلى خدمة القسم الثاني النساء.

تستعمل النساء، عند الخروج من البيت، الشادور لتغطية كامل اجســامهن، أما داخل المنزل، فيستعملن الخمار ذا الالوان الفاتحة، وبمجـرد مقابلة سـيدة، لرجل غـير زوجها او قريب لها، ترخي الخمار على وجهها بسـرعة. ولتثبيته جيـدا، تمسك قسـما منه باسـنانها. وهذا الحجاب، كان يسبب للاطباء، مشاكل كبـيرة آنـذاك، حيث يُجْبَـرْ الطـبيب، بوسـيلة او باخرى، لمعالجة النساء من خلف الحجـاب، ونـادراً ما تتجـرأ بعضـهن احيانـا، باظهـار عين متقرحة او مرفق مجروح، من تحت الحجاب لغرض التداوي.

لاتتردد النساء على قسم الرجال، المخصص لحيـاتهم العامة لأي سـبب، بينما خصص القسم الداخلي لحيـاتهن الخاصة فقـط. ويتسـاوى القسـمان من حيث الجمـال والاعمـار، وكقاعدة، يشيد في القسم الداخلي، الحمّام الخاص بالبيت، مع خزان الماء، الذي يملأ من جدول ماء خارجي، يمر عبر فتحة في جدار البيت.

لقد ترك لنا احد المستشرقين، ويدعى جيمس باسيت، هذه الملاحظـات، عن الحيـاة الايرانيــة، كما شـاهدها(66)، حيث أمضى أربعة عشر عاما في ايــران، بـدأت من سـنة 1871م. وذكر حسب اعتقـاده، ان عـدد السـكان، يـتراوح بين خمسة الى عشـرة ملايين (لاتوجد احصــائية رســمية بــذلك). وان الايرانــيين ينقســمون الى جنســين، الاصــليين والتيرانيين (وهم خليط من قبائل التتار والاتراك). وان غالبية الـبيوت، تبـنى من الحجـارة.

كما تـزين العديد من المنـازل والبوابـات، برسـوم ولوحـات لمشـاهد الصـيد والمنـاظر الطبيعية. ويعود عمر بعض هذه الابنية الى تسعمائة عام مضت.

اعتاد الايرانيون، ترك احذيتهم خارج ابواب منازلهم، بينما لايحبذ الاوربيون ذلك، لهـذا ارتدوا الكالوش (وهو حذاء كبير يحتذى فوق الحذاء الاصلي)، ويخلع خارج الـبيت، ليـدخلوا بأحذيتهم الاصلية النظيفة.

واضاف المستشرق، فكتب عن انتشار عـادة شـرب الخمر بين النـاس، لكن بصـورة سرية، وذلك لوجود عقوبة الغرامة المفروضة على هذه الفعلة، وخشيتهم من نبذ المجتمع لهم. وعن مزاولة الرجال للعب الورق (القمار) والتدخين، داخل جـزء الـبيت الخـاص بهم، وعن الفروسية والمبارزة والصيد بالصقور.

أما عن حيـاة النسـاء في الـبيت الـداخلي، فـذكر انهن يحتفلن بالاعيـاد والمناسـبات، ويتنـاولن الحلـوى ويمارسن الغيبة والنميمـة، ويتمتعن بمشـاهدة فـرق الـرقص الرجالية والنسائية، كما يستمعن لرجال الـدين، وهم يقـرأون لهن الآيـات والاحـاديث والاشـعار من غرفة مجاورة. وذكر ايضا، ان السائد بخصوص زواج الاناث، زواجهن في الغالب، قبل بلوغ سن السادسة عشر، ما عدا الارامل منهن.

* * *

الملحق الخامس
"الاسماء الايرانية(67)"

لا يستعمل الايرانيون، في القرن التاسع عشر، القابا لاسمائهم، بل اسماء عادية مثل محمد، حسين، ابراهيم، وكذلك يسـتعملون الاسـماء المركبـة، مثل محمد علي، رضا قلي، وتؤخذ غالبية الاســماء المركبة الثانيــة، من اســماء الله الحســنى التســعة والتســعين، المذكورة في القرآن الكريم، مثل عبد الرحيم وغيره00

لذلك، وللتمييز بين الاشخاص، تضاف الاسـماء والصـفات الى الاسـماء الاولى. فأسم الحاج محمد حسـين اصـفهاني، يشـير الى ان الرجـل، من اصـفهان، وقد حج بيت الله في مكة. واستاد محمود البنا، يشير الى انه معلم بناء، وهكذا...

والالقاب والصفات التالية، هي قليل من كثير، تستعمل مع الاسماء الايرانية، مثل:

أقا: سيد، اصطلاح عام يستعمل للاحترام.

درويش: رجل من اتباع المذهب الصوفي الاسلامي.

حاج: مسلم أدى فريضة الحج الاسلامية.

كاشي: رجل من مدينة كاشان.

مـيرزا: اصـطلاح عـام للاحـترام، يشـير الى ان الشـخص متعلم. اما اذا اسـتعمل بعد الاسم، فيدل على ان صاحبه من طبقة النبلاء.

ملاّ: رجل دين اسلامي شيعي.

شيخ: رجل كبير السن او رئيس قبيلة او رئيس طريقة صوفية.

سيّد: رجل من نسل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

استاد: معلم لمهنة او حرفة يدوية.

* * *

نبذة مختصرة عن بعض الشخصيات
الوارد ذكرها في الكتاب

ان قصص العديد من المؤمنين الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب، جاء شرحها في مطبوعات بهائية اخرى متوفرة حاليا. وكخدمة للقاريء، نورد أدناه أهم المراجع.

لم يرد هنا، كل ما جاء ذكره من اسماء الاشخاص، في مذكرات استاد محمد علي سلماني، والمصادر ليست شاملة، واسماء الكتب جاءت بشكل مختصر:

- أبو بصير (أقا نقد علي)، مبلّغ بهائي شهير، استشهد مع سيد اشرف. انظر كتاب الذئب ص73، كتاب القرن البديع ص 199، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص226.

- الحاج عباس، ورد ذكره في كتاب تذكرة الوفاء ص 63

- أقا عبد الغفار اصفهاني، من جملة الأصحاب الذين تم نفيهم مع حضرة بهاءالله، حاول الانتحار عندما علم بنفيه الى قبرص وابعاده عن مولاه. انظر كتاب تذكرة الوفاء لحضرة عبد البهاء ص59، وكتاب القرن البديع لحضرة ولي أمر الله شوقي رباني ص 182، وكتاب بهاءالله لجناب حسن باليوزي ص 467، وكتاب بعثة بهاءالله لأديب طاهر زاده ج1 ص287

- الحاج ابو الحسن اردكاني (امين الهي)، اول من تشرف بحضرة بهاءالله في سجن عكاء. انظر كتاب القرن البديع ص 187، وكتاب بهاءالله ص 398، وكتاب البابية والبهائية ص 355.

- عبد الكريم خراط اصفهاني، من اصحاب حضرة بهاءالله في عكاء. انظر كتاب بهاءالله ص 325، 330.

- عبده صالح، البستاني. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 26-28.
- ميرزا احمد، ابن ميرزا يحيى. انظر كتاب بهاءالله ص 232.
- الحاج علي عسكر، من تبريز، من اصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 161، وكتاب بهاءالله ص 469.
- الدكتور علي قلي خان (نبيل الدولة). مؤمن ارسل الى امريكا، كمترجم لميرزا ابو الفضل. واصبح فيما بعد، القائم باعمال البعثة الايرانية في واشنطن، وعين عضوا في الوفد الايراني للسلام في مؤتمر فرساي. كما عمل بوظيفة القائم باعمال السفارة الايرانية في استنبول، اصبح بعدها، رئيس محكمة الوصاية على البلاط الاميري الايراني، قبل عودته الى حياته المدنية في الولايات المتحدة، بعد سقوط السلالة القاجارية0
- ميرزا علي سياح (ملا عدي الغزال). من اصحاب حضرة بهاءالله في ادرنه، نفي الى قبرص وأبعد عن سيده. انظر كتاب بهاءالله ص 468.
- امين الدولة (فروخ خان). انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 29.
- ميرزا أقا جان (خادم الله). كاتب وحي حضرة بهاءالله، ومن أصحابه المقربين، ومن اوائل المؤمنين به. نقض العهد في نهاية حياته، وقام ضد حضرة عبد البهاء. انظر كتاب القرن البديع ص 115، كتاب بهاءالله ص 109، كتاب بهجة الصدور ص 145، كتاب بعثه بهاءالله ج 1 ص 40-315
- أقا سيد أشرف، من مدينة زنجان، ومن مشاهير شهداء الديانة البهائية. انظر لوح الذئب ص 73، كتاب القرن البديع ص 199، كتاب بهاءالله ص 470، كتاب بعثة بهاءالله ج 2 ص 223.
- بديع (أقا بزرك نيسابوري). شاب، حمل رساله حضرة بهاءالله الى ناصر الدين شاه، ثم استشهد. انظر لوح الذئب ص 73، كتاب القرن البديع ص 199، كتاب بهاءالله ص 298.
- محبوب الشهداء (الحاج سيد محمد حسين اصفهاني)، احد أخوين بهائيين استشهدا في اصفهان. انظر لوح الذئب ص 72، كتاب القرن البديع ص 200، كتاب البابية والبهائية ص274.
- ميرزا فتح علي اردستاني (فتح أعظم)، انظر كتاب بهاءالله ص 471، كتاب بهجة الصدور ص 123.
- الحاج ميرزا حيدر علي (ملاك جبل الكرمل). مُبلّغ بهائي شهير، له كتاب بهجة الصدور. انظر كتاب بهاءالله ص 236، كتاب بعثة بهاءالله، ج1 ص 28، ج2 ص68-194.
- أقا حسين آشجي، شاب من اصحاب حضرة بهاءالله، خدمه كطبّاخ في بيته المبارك. انظر كتاب بهاءالله ص 473.
- أقا سيد حسين، من كاشان. من اصحاب حضرة بهاءالله في بغداد وادرنه. انظر كتاب بهاءالله ص 175
- الحاج ابراهيم، من كاشان. مؤمن متذبذب، تأرجح بين ولائه لحضرة بهاءالله ومعاشرته لازل. انظر كتاب بهاءالله ص 156.
- الحاج امين، من زنجان. انظر كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص 242، كتاب البابية والبهائية ص 361.
- استاد اسماعيل البناء من كاشان. من اوائل الزائرين لعكاء، انظر كتاب تذكرة الوفاء ص29، كتاب القرن البديع ص 187، كتاب بهاءالله ص 290.

- أقا جمــال (اسم الله الجمــال)، من مدينة بروجــرد. مُبلّغ بهــائي مشــهور في زمن حضـرة بهاءاللـه، نقض العهد وقـام ضد حضـرة عبد البهـاء. انظر كتـاب القـرن البـديع ص 247، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص118-264، كتاب بهجة الصدور ص 128-135.
- جمشيد (أقا جمشيد كرجي) من بخاري. انظر كتاب تـذكرة الوفـاء ص120، كتـاب بهاءالله ص475.
- جواد (محمد جواد قزويني) من قزوين. خطاط وكاتب وحي حضـرة بهاءاللــه، نقض العهد بعد صعود مولاه، وقـام ضد حضـرة عبد البهـاء. انظر كتـاب القـرن البـديع ص247، كتاب بهجة الصدور ص 126.
- أقا كليم (ميرزا موسى). الأخ الشقيق الوفي لحضـرة بهاءاللـه. انظر كتـاب تـذكرة الوفاء ص86، كتاب القرن البديع ص 108، انظر كذلك كتاب بهاءالله، كتاب بعثة بهاءالله ج1، ج2 في العديد من المراجع.
- سلطان الشهداء. احد اخوين بهائيين استشـهدا في اصـفهان. انظر لـوح الـذئب ص 72، كتاب القرن البديع ص 200، كتاب البابية والبهائية ص 274.
- مهد عليا. زوجة حضرة بهاءاللـه، والـدة مـيرزا محمد علي. انظر كتـاب بهاءالله ص 277.
- أقا ميرزا محمود من كاشان. من اصحاب حضرة بهاءالله0 انظر كتاب تذكرة الوفاء ص39، كتاب بهاءالله ص 475.
- ميرزا مجد الـدين، ابن أقا كليم، نقض العهد بعد صـعود حضـرة بهاءاللـه، وقـام ضد حضرة عبد البهاء. انظر كتاب القرن البديع ص247، كتـاب بهاءالله ص 277، كتـاب عبد البهاء ص54، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص316، كتاب بهجة الصدور ص 154.
- سيد مهدي دهجي (برغوث). انظر كتاب بهاءالله ص 242.
- ميرزا مهدي قلي من كاشان، من اصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 95.
- مشكين قلم (اقا مـيرزا حسـين اصـفهاني)، من اصـحاب حضـرة بهاءاللـه، خطـاط بهـائي مشـهور. انظر كتـاب تـذكرة الوفـاء ص97، كتـاب بهاءالله ص 247، كتـاب بعثة بهاءالله ج1 ص126.
- سيد محمد اصفهاني (شيطان الديانة البهائية). انظر كتاب القـرن البـديع ص 112-164، كتاب بهاءالله ص 108، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص 246، ج 2 ص 66 - 325.
- مـير محمـد، من كـازرون. المـؤمن الـذي هيأ لاجتمـاع الفصل الاكـبر، بين حضـرة بهاءالله وميرزا يحيى في ادرنه. انظر كتاب القرن البديع ص 168.
- ميرزا محمد علي (الغصن الاكبر)، ابن حضرة بهاءالله، أخ غـير شـقيق لحضـرة عبد البهاء، الناقض الاكبر لعهد حضرة بهاءالله، انظر كتاب القرن البديع ص 246.
- أقا استاد محمد باقر من كاشان، من اصحاب حضرة بهاءالله، تــوفي في الثكنة في عكاء. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 167، كتاب بهاءالله ص 156-283.
- أقا محمد باقر (قهوجي محلاتي)، من اصحاب حضرة بهاءاللـه. انظر كتـاب بهاءالله ص 156-250، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص 329.
- أقا محمد حسن مســافرخاني، من قم. من اصــحاب حضــرة بهاءاللـه. انظر كتـاب بهاءالله ص 157-178-237.
- أقا محمد ابراهيم امير، من نيريز، من اصحاب حضرة بهاءاللـه. انظر كتـاب تـذكرة الوفاء ص 94، كتاب بهاءالله ص144- 156-477.

- أقا محمد اسماعيل الخياط، من كاشان، من اصحاب حضرة بهاءالله. توفي في الثكنة العسكرية في عكاء. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 167، كتاب بهاءالله ص 156-279-283.
- الحاج محمد اسماعيل الذبيح، من كاشان، من اوائل المؤمنين. انظر كتاب القرن البديع ص180، كتاب بهاءالله ص253- 260-264، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص411.
- ميرزا محمد قلي، الاخ الوفي غير الشقيق لحضرة بهاءالله0انظر كتاب تذكرة الوفاء ص70، كتاب القرن البديع ص 108، كتاب بهاءالله ص14، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص 15
- الحاج محمد رضا، من اصفهان. شهيد عشق آباد. انظر لوح الذئب ص 77، كتاب القرن البديع ص202، كتاب البابية والبهائية ص196.
- أقا محمد صادق، من اصفهان من اصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب بهاءالله ص 478، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص287.
- ميرزا أقا منير (اسم الله منيب) من كاشان. من اصحاب حضرة بهاءالله. توفي خلال الرحلة من ادرنه الى عكاء. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص145، كتاب القرن البديع ص182، كتاب بهاءالله ص157-176-479، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص 283، ج2 ص72، كتاب بهجة الصدور ص13.
- ميرزا مصطفى من كاشان. شهيد بهائي في تبريز. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 148، كتاب بهاءالله ص 204-237.
- نبيل (نبيل أعظم) من زرند. من كتّاب وحي حضرة بهاءالله، مؤلف أشهر كتب التاريخ البهائي (مطالع الأنوار). انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 32، كتاب القرن البديع ص 130، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص202. كذلك العديد من المراجع في كتاب بهاءالله.
- أقا نجف علي من زنجان. من اصحاب حضرة بهاءالله، استشهد فيما بعد في طهران. انظر لوح الذئب ص73، كتاب القرن البديع ص178، كتاب بهاءالله ص 144، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص222، كتاب بهجة الصدور ص 15.
- ميرزا نصر الله، أخ زوجة ميرزا يحيى أزل. انظر كتاب بهاءالله ص 236، كتاب البابية والبهائية ص19.
- نواب (آسيا خانم)، (الورقة المقدسة المطهرة). انظر كتاب القرن البديع ص108، كتاب بهاءالله ص 17-369، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص15.
- ميرزا نور الله، ابن ميرزا يحيى ازل. انظر كتاب بهاءالله ص 390.
- رضا بهلوان البطل0 انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 1670
- اقا رضا قناد (اقا محمد رضا قناد من شيراز)، من اصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 39، كتاب بهاءالله ص478، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص288.
- ميرزا رضا قلي من تفريش. أخ زوجة ميرزا يحيى ازل0 انظر كتاب بهاءالله ص 236-320، كتاب البابية والبهائية ص19.
- ساذجية خانم، ابنة حضرة بهاءالله. توفيت وهي رضيعة. انظر كتاب بهاءالله ص 203.
- الشيخ سلمان، مؤمن، عمل كمراسل لحضرة بهاءالله، مدة اربعين عاما، يحمل الالواح والرسائل بينه وبين اتباعه في ايران. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 13، كتاب بهاءالله ص 226-344-441، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص 109-255.
- درويش صادق علي، من قزوين، من اصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب بهاءالله ص482، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص289، ج2 ص164، كتاب بهجة الصدور ص71.

- منقي القمح (ملا جعفر اصفهاني). اول مؤمن بابي من اصفهان. انظر كتاب مطالع الانوار ص99، كتاب الباب ص 50

- ميرزا سليمان قلي (كاتب الرحمن) من طهران، شهيد بابي. انظر كتاب بهاءالله ص 88.

- أم أشرف، والدة سيّد أشرف. انظر كتاب مقتطفات ص 135، كتاب الذئب ص 73، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص 223.

- ميرزا يحيى (صبح أزل). الاخ الخائن غير الشقيق لحضرة بهاءالله. انظر كتاب الذئب ص166، كتاب القرن البديع ص 112 -163، كتاب بهاءالله ص14-187، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص53-246. انظر كذلك العديد من المراجع في بعثة بهاءالله ج2.

- زاهي (زاهر). انظر كتاب القرن البديع ص164، كتاب بهاءالله ص 183-224.

- زين المقربين (ملا زين العابدين)، من نجف آباد. من حواريي حضرة بهاءالله. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 150، كتاب القرن البديع ص130، كتاب بهاءالله ص 120، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص25، ج2 ص335، كتاب بهجة الصدور ص 5

الحواشي

(1) منقي القمح، ملا جعفر اصفهاني.

(2) يبدو ان هذه المذكرات، كتبت في أواخر سنيّ حياة الكاتب. (المترجم).

(3) سيد بصير هندي. انظر "كتاب التاريخ الجديد" ص244-388

(4) انظر "كتاب القرن البديع" ص136، "كتاب بهاء الله" ص132، "كتاب بعثة بهاء الله" ج 1 ص101

(5) منع حضرة الباب، التدخين صراحة، في بدايته دعوتة0 فامتنع بذلك كل اتباعه. وبسبب جوّ الحذر والترقب والشك، ولتعرض كل من يمتنع عن التدخين في ذلك الوقت، لتهمة البابية ثم للتعذيب والاضطهاد وحتى القتل. اضطر بعض المؤمنين مجبرين انذاك، للتدخين كنوع من الحكمة. ولاسباب معينة، دخّن حضرة بهاء الله، ايام الأمر المبارك الأولى قليلاً. أما بعد نزول كتاب الأقدس، فلم يحرّم حضرته تناول الدخان علانية وبشكل صريح، لذا لم يترك المؤمنون الدخان مرة ثانية، ومع ذلك، بقي حضرته يشير الى كراهية استعمال الدخان، وانقطع عنه في النهاية تماماً، وبذلك، امتنعت بقية النفوس المقدسة التي اطاعته في كل شيء

وفي كل الظروف. انظر لوح الطهارة، لحضرة عبد البهاء في كتاب (ذي بهائي وورد فيذ) ص 334

(6) عمو، كلمة يستعملها القرويون الايرانيون دلالة على الاحترام.

(7) انظر الملحق الاول الخاص بالحمّام.

(8) الوشاش، مزرعة تقع في ضواحي مدينة بغداد.

(9) انظر "كتاب القرن البديع" ص 147، "كتاب بعثة بهاء الله" ج1 ص228

(10) ميرزا يحيى، ويدعى أيضاً صبح أزل، الأخ غير الشقيق لحضرة بهاء الله، تمرد عليه في النهاية، وقام على معاداة سلطته، وأصبح ناقضا لعهد حضرة الباب، الذي عيّنه بنفسه خليفة له، ليبدو كقائد وحيد للبابيين حتى مجيء "من يظهره الله". (انظر "كتاب القرن البديع" ص28-29-233)

(11) وصل حضرة بهاء الله، الى بغداد، قادماً من طهران، في ابريل سنة 1853م، وغادرها الى استنبول، في ابريل سنة 1863م.

(12) انظر الملحق الثاني (الهودج).

(13) رافق بعض الأشخاص، حضرة بهاء الله، في رحلته، لاسباب عديدة، اهمها محبتهم العظيمة لشخصه الكريم، وعدم استطاعتهم تحمل فكرة فراقه والابتعاد عنه، مفضلين ترك كل شيء وراءهم، ومرافقته. (المترجم).

(14) بائع التبغ والدخان.

(15) انظر "كتاب بهاء الله" ص 156

(16) بقي صبح أزال، يختبى ويغيّر اسمه وشخصيته وهيئته، خوفا على حياته، منذ حادثة الاعتداء على حياة ناصر الدين شاه حاكم ايران. لذلك، كان دائم الابتعاد عن حضرة بهاء الله، الذي عاش حياة طبيعية مع الناس. (المترجم).

(17) حسب ما ورد في "كتاب القرن البديع" ص 164 النسخة الانكليزية.

(18) ان خط سير القافلة كان من كركوك الى الموصل. حسب ما ورد في كتاب جناب أيادي أمر الله حسن باليوزي في كتابه "بهاء الله" باللغة الانكليزية ص158. (المترجم).

(19) كانت القوافل في الايام السالفة، تسافر على شكل مجموعات، درءا لأخطار قطاع الطرق. (المترجم).

(20) الشيخ محي الدين، قاضي مدينة خانقين في العراق.

(21) يلاحظ القارىء، سرد الكاتب للتسلسل الجغرافي غير الصحيح لخط سير قافلة الركب المبارك. أما حقيقة سير الموكب المبارك خلال كبريات المدن، فكان: بغداد/قره تبه/دوز خورماتو / كركوك/اربيل/نهر الزاب/برطيله/الموصل/زاخو/ماردين/ديار بكر /خربوط/معدن نقرة/سيفاس/سامسون. (المترجم).

(22) سافرت زوجات أزل وأبناؤه، مع الركب المبارك وتحت رعاية حضرة بهاء الله. بينما بقي أزل يسافر متخفياً. لذلك نراه يزور عائلته متخفياً بين الفينة والأخرى. (المترجم).

(23) بسبب عدم معرفة الأصحاب البابيين، ان حضرة بهاء الله، هو المظهر الإلهي القادم، وهو "من يظهره الله"، الذي يرمز اليه حضرة الباب في آثاره وكتاباته، فلقد منع حضرة الباب على أصحابه أكل البصل وأمور أخرى عديدة، مراعاة لعدم إزعاجهم حضرة بهاء الله، حيث كان يكن له أعظم الاحترام والتقديس. بينما حللّه حضرة بهاء الله فيما بعد. (المترجم).

(24) كانت العادة الجارية في تلك الأيام، حلاقة البـالغين من الرجـال، لشـعر رؤوسـهم بالموسى بشـكل تـام. أما في الديانة البهائية فقد حـرّم هـذا الفعـل. (المترجم).
(25) انظر "كتاب القرن البديع" ص 157، "كتاب بهاء الله" ص 195.
(26) مؤلف الكتاب البهائي التاريخي المشهور (مطالع الأنوار).
(27) سـيّد محمد اصـفهاني. العـدو اللـدود للديانة البهائيـة، ونـاقض عهـدها، ومحرض وغاوي ميرزا يحيى أزل في التمرد ضد أخيه حضرة بهاء الله.
(28) انظر "كتاب القرن البديع" ص 157، "كتاب بهاء الله" ص 201.
(29) انظر "كتاب بهاء الله" ص 201.
(30) الضابط التركي علي بك. انظر "كتاب بهاء الله" ص 205.
(31) يقع هـذا الـبيت، قـرب تكية لجماعة أحد مشـايخ الطريقة الصـوفية، ويدعى جلال الدين الرومي، عاش في القرن الثالث عشر الميلادي.
(32) انظر "كتاب القرن البديع" ص 166.
(33) حسين كرد، رجل خارج على القانون. أصبح مع مرور الوقت، رجلا قويـاً ومشهوراً جداً، بحيث أخذ يعقد جلسات محاكماته خلال الليل، بكل جرأة وبصـورة علنية، في اسواق مدينة اصفهان.
(34) هذه اشارة الى أزل. فهو يعتبر أحد مرايا الدورة البابية.
(35) يختلف هذا اللوح، عن اللوح العربي المشهور في الغرب، والـذي يحمل نفس الاسم.
(36) وقت كتابة هذه المذكرات.
(37) انظر "كتاب القرن البديع" ص 166، "كتاب بهاء الله" ص 227، "كتاب بعثة بهاء الله" ج 2 ص 158.
(38) تـزوج أزل، ست نسـاء على الأقـل، تـرك ثلاث منهن في ايـران، بعد فراره الى بغداد.
(39) ميرزا حيدر علي، مؤلف كتاب "بهجة الصدور".
(40) الشـيخ أحمد خراسـاني. أنظر "كتـاب تـذكرة الوفـاء" ص 149، "كتـاب البابية والبهائية" ص 251، "كتاب بهاء الله" ص 237.
(41) يعادل التومان الايراني، دولارين في ذلك الوقت.
(42) حقوق الله، هي أموال يقتطعها البهائيون من أرباحهم السـنوية بنسـبة (19%) بالمائة، لتقدم الى حضرة بهـاء الله سـابقا، والمعهد الأعلى حاليـاً، لتصـرف في اعمال الخير.
(43) انظر "كتاب بهاء الله" ص 248.
(44) يـؤمن البهـائيون، أن حضـرة البـاب، هو المهـدي المنتظـر، موعـود المسلمين السنّة (اضافة الى أنه عودة الامام الثاني عشر). أما حضرة بهـاء اللـه، فقد حقق بظهوره نبوءات أهل السنة بعودة السيد المسيح عليه السلام.
(45) شيخ الاسلام: هو كبير علماء المحكمة الشرعية. ويعيّن بأمر الشـاه، لكل مدينة على حدة.
(46) انظر "رسالة ابن الذئب" ص 108، "كتاب بهاء الله" ص 398.
(47) نقض سـيد مهـدي دهجي العهـد، بعد صـعود حضـرة بهـاء اللـه، فلقبه حضرة عبد البهاء بــ (تخته خنّـاس)، وتعـني باللغه الفارسـية، "برغـوث الفـراش"،

وذلك بسبب عناده وصلفه. أما لقب "اسم الله المهدي"، فقد منحه أياه، حضرة بهاء الله. أنظر "كتاب بهاء الله" ج2 ص 272.

(48) ميرزا محمد حسن اصفهاني (سلطان الشهداء)، وأخوه ميرزا محمد حسين (محبوب الشهداء). أنعم عليهما حضرة بهاء الله، بهذين اللقبين، بعد استشهادهما في سبيل الأمر المبارك سنة 1879م. استشهدا بتحريض من امام جمعة اصفهان. أنظر "كتاب تذكرة الوفاء" ص 173-181، "كتاب القرن البديع" ص 200، "كتاب الديانة البابية والبهائية" ص 274.

(49) أُرسِلَ علي قلي خان الى الولايات المتحدة الأمريكية، بأمر من حضرة عبد البهاء في سنة (1901م) كمترجم للفيلسوف البهائي، ميرزا أبو الفضل.

(50) توفي جدي، الذي اصبح مختاراً في طهران، بعد تركه مدينة كاشان، وعمر والدي، اربعة عشر عاما فقط، وقبل وقت طويل، من وصوله الى الولايات المتحدة الامريكية. وبالطبع، ان سلماني، يتذكر جيداً ايام الظهور الاولى.

(51) وتدعى مريم، وهي من زوجات أزل، اللائي تركهن في ايران، بعد هربه الى بغداد.

(52) (بديع) أقا بزرك الخراساني، شاب مؤمن يافع، سلَّم رسالة حضرة بهاء الله "السلطانية" الى ناصر الدين شاه. أنظر كتاب القرن البديع ص 199.

(53) مؤمن ثابت، استشهد في سوق عشق آباد، في تركستان من مقاطعات روسيا، على يد مسلمين متعصبين سنة 1889م. أنظر "كتاب القرن البديع" ص 202، و "كتاب الديانة البابية والبهائية" ص 296.

(54) أخ لحضرة بهاء الله.

(55) لم يعرف أزل بهذا الاسم في تلك الأيام. بل كان يطلق على نفسه (ميرزا علي)، توخياً في الحيطة والحذر، وخوفا من اكتشاف شخصيته.

(56) انظر "كتاب القرن البديع" ص 168، "كتاب بعثة بهاء الله" ج 2 ص 291-300.

(57) انظر "كتاب القرن البديع" ص 167، "كتاب بهاء الله" ص 232.

(58) عملة تركية قديمة، ومفردها "مجيدي".

(59) الأغصان: هم أنجال حضرة بهاء الله. حضرة عبد البهاء (الغصن الأعظم)، ميرزا مهدي (الغصن الأطهر)، محمد علي (الغصن الأكبر)، ميرزا بديع الله، وميرزا ضياء الله المولود في ادرنه.

(60) دخّنَ الأصحاب النارجيلة، في ادرنه بعض الاحيان. ونادرا ما أخذها حضرة المولى بيده. اما في عكاء، فقد انقطع استعمالها.

(61) جمال بروجرد، مُبلّغ بهائي كبير خلال حياة حضرة بهاء الله، تمرد ضد ولاية حضرة عبد البهاء، وأصبح من أشد الناقضين للعهد. أنظر كتاب القرن البديع ص 247-248، وكتاب قصص من بهجة الصدور ص 128-129، 136-143، كتاب بعثة بهاء الله ج2 ص119، 264.

(62) انظر على سبيل المثال، كتاب النساء الايرانيات وعاداتهن لكوليفر رايس، طبعة لندن سنة 1923.

(63) انظر كتاب القرن البديع ص 155.

(64) انظر كتاب النساء الايرانيات وعاداتهن ص 211.

(65) انظر كتاب (ايران والايرانيين) لبنجامين المطبوع في سنة 1887 م، كتاب ايران في الماضي والحاضر، لجاكسون المطبوع في سنة 1906م.

(66) انظر كتـاب ايـران أرض الائمـة، لجيمس باسـيت المطبـوع في سـنة 1887م.
(67) انظر شرح الكلمات البهائية.

" المحتويات "

1 - نبذة عن حياة الكاتب 3-
2 - المقدمة 5-
3 - كلمة المترجم 9-
4 - المحتويات 15-
5 - مذكراتي 17-
- حكاية ايماني 19-
- مغادرتي اصفهان 25-
- في بغداد 27-
- الرحلة الى استنبول 34-
- في استنبول 45-
- في ادرنه 50-
- مؤامرات ناقضي العهد 51-
- بداية المتاعب 60-
- اعتقالي وإبعادي 62-
- من اصفهان الى عكاء 77-
- وصولي الى عكاء 84
- ذكرياتي في أدرنه 87-
6 - الملحق الأول (الحمام) 101-
7 - الملحق الثاني (الهودج) 102-
8 - الملحق الثالث (النارجيلة) 103-
9 - الملحق الرابع (الاندرون والبيرون) 104-
10 - الملحق الخامس (الاسماء الايرانية) 107-
11 - نبذة عن الشخصيات الوارد ذكرها في الكتاب 109-
12 - المراجع 119-

النـهايــة